المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية
بدمياط الجديدة

الفن المقالي على صفحات مجلة الزيتونة
(عرض ونقد)

الدكتور
إبراهيم عبد المحسن إبراهيم أبو شعيشع
مدرس بقسم الأدب والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة
جامعة الأزهر

العدد التاسع عشر (سبتمبر ٢٠٢٥م)
الترقيم الدولي/ (٢٣٥٦-٦٣٥٣) ISSN
الترقيم الدولي الإلكتروني/ (٢٦٣٦-٢٧١٦)
رقم الإيداع بدار الكتب / (٢٠١٣/ ١٨٧٦٦)

(الفن المقالي على صفحات مجلة الزيتونة عرض ونقد)

الحديث عن الفن المقالي في المجلة الزيتونية مما يألفه الواقع الأدبي والنقدي، وقد احتوت المجلة الزيتونية على العديد من الأنواع المقالية، فوجدنا منها (الأدبية، والنقدية، والدينية، والتاريخية، والاجتماعية)، وقد تم التعرض لتلك الأنواع المقالية عن طريق التحليل الموضوعي والفني.

فلقد تناول الباحث هذا الفن المقالي على صفحات المجلة الزيتونية، من خلال تقسيمه لبحثه إلى فصلين، يشتمل الأول منهما، والذي يختص بالجانب الموضوعي على عدة مباحث، وهي (المقالة الدينية، المقالة الأدبية، المقالة النقدية، المقالة التاريخية، المقالة الاجتماعية)، ثم يأتي الفصل الثاني، والذي يختص بالجانب الفني متضمناً عدة مباحث، وهي (البناء الفني، الأسلوب، الإيقاع النثري، المعاني والأفكار، الوحدة الفنية).

والبحث يعنى بدراسة المقالات الزيتونية من خلال التحليل والشرح الموضوعي، واستخراج الجماليات الإبداعية البلاغية عن طريق الرؤية الفنية التي تعكس إبداعاً نقدياً، كما عكست لدى القارئ إبداعاً وجدانياً شيقاً.

الكلمات المفتاحية: (الفن المقالي- مجلة الزيتونة- عرض ونقد)

Research Summary

Talking about the art of articles in the Zaytouna magazine is familiar to literary and critical reality. The Zaytouna magazine contained many types of articles، including (literary، critical، religious، historical، and social)، and these types of articles were addressed through objective and artistic analysis.

The researcher has dealt with this art of articles on the pages of the Zaytouna magazine، by dividing his research into two chapters، the first of which، which is concerned with the objective aspect، includes several topics، namely (the literary article، the critical article، the religious article، the historical article، and the social article)، then comes the second chapter، which deals with the technical aspect، including several topics، namely (artistic structure، style، prose rhythm، meanings and ideas، and artistic unity).

The research examines Zaytouna's articles through objective analysis and explanation، extracting creative rhetorical aesthetics through an artistic vision that reflects critical creativity and، in turn، an engaging emotional creativity in the reader.

Keywords: (Artistic essay – Zaytouna magazine – Objective creativity – Artistic formation)

مقدمة

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على نبيه المصطفى –صلى الله عليه وسلم–

وبعد...

فقد أجمع دارسو الفن المقالي علي أهميته في تطور الأدب العربي؛ حيث إنه يشغل حيزاً كبيراً في المجلات الأدبية، والصحف القومية، كما أنه يتسع لكل ألوان الثقافة، ومجالات الحياة، ففيه تتنوع وسائل العطاء الفكري، والإبداع الفني، وفيه ينشر الأدباء أعمالهم، ويبزغ نجمهم، وقد كانت (مجلة الزيتونة) أرضاً خصبة لهؤلاء الكتاب، في نشر عطائهم، وإبداعهم، وأعمالهم، فكانت هذه المجلة الزيتونية منبراً حراً للحفاظ علي الهوية التونسية والعربية، في جمالهما، وموروثهما، وتاريخهما، وكانت سداً منيعاً أمام أنصار التغريب، فذادت عن العربية، وهاجمت أعداءها بأقلام كتابها، كما دعت إلى التوفيق بين القديم والجديد؛ عن طريق الاستفادة من النافع منهما، ومن ثم جاء هذا البحث معنوناً بـ (**الفن المقالي على صفحات مجلة الزيتونة عرض ونقد**).

وقد كان الباعث لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب، تتلخص فيما يلي:

١- أن (المجلة الزيتونية) من المجلات الأدبية الأولي في تونس، والتي كان لها نصيب كبير في الذود الدولة التونسية بصفة خاصة، والهوية العربية بصفة عامة، وقد امتازت بغزارة المادة الأدبية، والنقدية، والفكرية، والثقافية.

٢- أن (المجلة الزيتونية) تمثل جامعاً وجامعة عربية إسلامية، فعلي صفحاتها غرَّد أدباء كثيرون، وبأقلام كتابها زينت صفحاتها بالعديد من مقالاتهم على اختلاف اتجاهاتها ومشاربها.

٣- حِرْص هذه المجلة الدؤوب على الاعتماد في مقالاتها على منهج فني مجرد عن التعصب الداخلي، والهوى النفسي، عند معايشة المتلقي مع تلك المقالات؛ حتى يتسنى له الحكم المجرد في بيان كل مزية خاصة كانت أو عامة دون إجحاف أو مزايدة.

وقد واجهت الباحث بعض الصعوبات في سبيل دراسة الفن المقالي على صفحات (مجلة الزيتونة)، ومنها:

- أن أكثر كُتَّاب هذه المجلة من الأدباء التونسيين؛ مما كان سبباً في وجود بعض الصعوبات لدى الباحث في تتبع مقالاتهم، والاستعانة بشيء منها.

- عمق الموضوعات المقالية في المجلة؛ مما كان سبباً في شيء من الإرهاق الذهني، والعناء الفكري لدى الباحث، عند الإحصاء العددي لتلك المقالات أثناء الدراسة، إلا أنه تم حصر هذه الأعمال المقالية، وإدراج معظمها في الحواشي السفلية للبحث.

- وقد انتفع الباحث ببعض الدراسات التي دارت حول المقالات الأدبية، ومنها: (الصحافة الأدبية بمصر وأثرها في تطور الأدب العربي الحديث بين الحربين العالميتين (١٩١٤- ١٩٣٩) للدكتور/ محمود عبدربه فياض، نشر: كلية دار العلوم- قسم الدراسات الأدبية ١٩٦٧م، و(مجلة المعرفة واتجاهاتها الأدبية لصاحبها عبدالعزيز الإسلامبولي)، أطروحة دكتوراة بكلية اللغة العربية بالمنصورة، دكتور/هشام محمد محمد البيه ١٩٩٦م، وكتاب (الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث) للدكتور/ محمد الكتاني، ط: الأولى، دار الثقافة، بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، فقد عبّدت هذه الأطروحات وغيرها من المراجع الطريق أمام الباحث.

أما عن منهج البحث وخطته:

فقد اعتمد الباحث على المنهج التحليلي، الذي يتعامل مع العمل الأدبي بذاته وبنفس قائله؛ لتحقيق القيم الشعورية وغير الشعورية فيه، واستقصائها من الناحية الجمالية، والانغماس في النص الأدبي انغماساً كاملاً؛ لاستخراج مضامينه وخباياه، فهو يعني ببحث علاقة الكاتب بمجتمعه وتأثره به، ويحتفظ حينئذٍ للمؤثرات العامة المحيطة به بأثرها النفسي على قلبه، في التوجيه الإبداعي لمقاله، والتلوين الفني لنقده.

وأما عن الخطة: فقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي وفق خطةٍ، جاءت في فصلين، تسبقهما المقدمة، والتمهيد، وتلحق بهما الخاتمة، ثم المصادر، والمراجع، والفهرس.

أولاً: **المقدمة:** وفيها أشار الباحث إلي أهمية الموضوع، وبيان دوافع اختياره له، وبعض الدراسات السابقة عليه، وبعض الصعوبات التي واجهته، ثم منهج البحث وخطته.

ثانياً: **التمهيد:** وجاء بعنوان: المقالة في المجلة الزيتونية (تصور تأصيلي، واستحضار توضيحي).

ثالثاً: **الفصل الأول:** وجاء بعنوان: (الملامح الموضوعية لفن المقالة في مجلة الزيتونة)، وقد تضمن عدة مباحث:

المبحث الأول: بعنوان: (المقالة الدينية).

المبحث الثاني: بعنوان: (المقالة الأدبية).

المبحث الثالث: بعنوان: (المقالة النقدية).

المبحث الرابع: بعنوان: (المقالة التاريخية).

المبحث الخامس: بعنوان: (المقالة الاجتماعية).

رابعاً: الفصل الثاني: وجاء بعنوان: (من الملامح الفنية لفن المقالة في مجلة الزيتونة)، ويتضمن عدة مباحث، وهي:

المبحث الأول: البناء الفني.

المبحث الثاني: الأسلوب.

المبحث الثالث: الإيقاع النثري.

المبحث الرابع: المعاني والأفكار.

المبحث الخامس: الوحدة الفنية.

خامساً: الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وأخيراً: ثبت بالمصادر، والمراجع؛ حيث قام الباحث بترتيبها وفق الترتيب الهجائي، ثم فهرس محتويات الرسالة.

والله من وراء القصد، وهو نعم الهادي إلى سواء السبيل.

الباحث

التمهيد

المقالة في مجلة الزيتونة

(تصور تأصيلي، واستحضار توضيحي)

تعد المقالة فناً من الفنون الأدبية النثرية، التي تشغل حيزاً كبيراً في المجلات والصحف؛ لأنها تتسع لكل ألوان الثقافة، ومناحي الحياة، يصنعها الكاتب من أجل المعالجة لجانبٍ معينٍ في موضوع ما، أو لتصوير مشهدٍ من المشاهد التي مرت به، وقد تعددت مفاهيمها عند الأدباء والنقاد، فهذا هو الدكتور/ محمد يوسف نجم، الذي يعرض رأياً حول المقالة للدكتور/ جونسون، حينما قال بأنها: " نزوة عقلية، لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، وهي قطعة لا تجري على نسق معلوم، ولم يتم هضمها في نفس كاتبها، وليس الإنشاء المنظم من المقالة في شيء "(١).

ثم يعقب الدكتور/ محمد يوسف نجم بقوله: "المقالة الأدبية قطعة نثرية محددة الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق "(٢).

ولكن الدكتور/ عمر الدسوقي يرد على ذلك بعدم التسليم بهذا الكلام؛ لأن " المقالة سارت في طريقها شوطاً طويلاً، واتَّسَع أُفُقُها حتى شملت كل ألوان الحياة "(٣)، فوجدنا أنفسنا في هذا الزمان وسابقه أمام " مقالات اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وعلمية، لكل أسلوبها، ونسقها، ونظامها، وقوانينها التي تجري على نسق معلوم "(٤).

---

(١) فن المقالة، د/ محمد يوسف نجم، ص: ٩٤، ط: الرابعة، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٦م.

(٢) فن المقالة، د/ محمد يوسف نجم، ص: ٩٥.

(٣) في الأدب الحديث، د/ عمر الدسوقي، ص: ٤٠٩، ط: السادسة، دار الفكر العربي ١٩٦٤م.

(٤) المقالة في ليبيا، نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني (١٨٦٦- ١٩١١)، دراسة تحليلية نقدية، د/ أحمد عمران بن سليم، ص: ٢١، ط: الأولى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ١٩٩٢م.

وعلى هذا فهي تتناسب مع طبقات الأمة على اختلاف توجهاتها، ومفاهيمها، وخصوصاً بعدما كان للصحافة أثر ملموس في نمو المقالة، وتطورها، وهذا ما جعل للمقالات الصحفية دور بارز في الإقناع والتوجيه، فهي إذن " فن من فنون القول كالرسالة وغيرها، وهي وسيلة حديثة لعرض الفكرة والمشاعر في موضوع من الموضوعات الهامة بأسلوب مُتَقَبَّل وجذاب "(١).

ولم تختلف المقالة في تونس عن هذه النشأة السابقة، " ففي عام (١٨٣٧م)، تولى الحكم في تونس المشير/ أحمد باشا، الذي استعان بوزيره/ خير الدين، الذي خطط لنهضة بلاده، فسار على نهج (محمد على باشا) في اتجاهه ناحية المشرق العربي، فابتدأ خطوات الإصلاح، بإنشاء مكتبة العلوم الحربية، واستقدام الأساتذة الأوروبيين، وما كادت المقالة تخطو خطواتها في تونس نحو النهضة الإصلاحية، حتى نُكِبَتْ البلاد بنكبة الاستعمار الفرنسي، فتم فصل الشيخ/ محمد السنوسي من رئاسة تحرير مجلة (الرائد التونسي)، والتي تحولت إلى نشرة رسمية بعد شهرين من توقيع معاهدة الحماية، ثم أُسِّسَت جريدة (الحاضرة) التي أنشأتها جمعية (العروة الوثقى) عام (١٨٨٨م)؛ لمجاهدة الاستعمار الفرنسي، ثم تلتها جريدة صحفية نقدية، وهي جريدة (الزهراء) عام (١٨٨٩م)، وإليها يرجع الفضل في تطور المقالة في تونس، وفي عام (١٩٠٥م) صدرت صحيفة (الصواب)، التي غلَّفَت المقالة السياسية بإطارٍ خاصٍ لها، فاكتملت الناحية الفنية لهذا النوع من المقالة، بما يتناسب مع متطلبات النهضة في عصرها الحديث " (٢).

---

(١) عدة الداعية، د/ فرج محمد الوصيف، ص: ٢٥٧، ط: معاهد إعداد الدعاة، طبعة خاصة بالجمعية الشرعية.

(٢) ينظر: المقالة في ليبيا، نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني (١٨٦٦- ١٩١١)، دراسة تحليلية نقدية، د/ أحد عمران بن سليم، ص: ٤٩- ٥٢.

وإذا أمعن القارئ للصفحات النثرية في(مجلة الزيتونة)(١)، يجد أن الفن المقالي يمثل الشكل الرئيسي للجانب النثري في هذه المجلة على تنوع اتجاهاته المختلفة، سواء أكان

(١) **المجلة الزيتونية**: هي مجلة لجامع الزيتونة بالدولة التونسية العربية، وهذه الدولة (تونس) " تتميز بموقعها الاستراتيجي المعروف؛ إذ تطل على حوض البحر المتوسط الشرقي والغربي معاً، فهي بذلك لها وجهتان عليه، مما أكسبها موقعاً جغرافياً ممتازا؛ إشرافها على طريق ملاحي هام، وقد لعب هذا الموقع دوره الكبير في حياة تونس؛ إذ كان من أكبر دوافع فرنسا لاحتلال القُطْر الشقيق؛ للاستيلاء على موانيها، وخاصة (بنزرت) الميناء الاستراتيجي الهام " (من المحيط إلى الخليج، أ/ محمد إبراهيم الصيحي، ص: ٤٥، ط: الأولى، مكتبة نهضة مصر، الفجالة).

مصدر المجلة: يعد جامع الزيتونة هو المُنْشِئ لهذه المجلة، فهي تُنْسَب إليه شكلاً ومضموناً، ويقوم على إصدارها هيئة من مُدَرِّسِي جامع الزيتونة، الذي لعب دوراً حيوياً في نشر الثقافة العربية والإسلامية في بلاد المغرب، وفي رحابه تأسست أول مدرسة فكرية في تتبع المسائل نقداً وتمحيصاً، ومن أبرز رموزها: (علي بن زياد، وأسد بن الفرات، وغيرهما)، كما اشتهرت الجامعة الزيتونية في العهد الحفصي بالفقيه المُفَسِّر (محمد بن عرفة التونسي)، ومبتكر علم الاجتماع المؤرخ (ابن خلدون)، ثم تجاوز إشعاع جامعة الزيتونة حدود تونس ليصل إلى سائر الأقطار الإسلامية.

اسم المجلة: كلمة (المجلة) ليست كلمة مستحدثة، ففي لسان العرب على سبيل المثال لا الحصر: " المجلة: الصحيفة فيها الحكمة ". لسان العرب لابن منظور، مادة (ج ل ل)، ط: دار إحياء التراث، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

أما عن اسمها في الواقع: فهي مجلة لجامعة الزيتونة التونسية، وقد أصبحت وسيلة مهمة للتوجيه، ونشر العلوم، حين اهتمت اهتماماً بالغاً بالدراسات الإسلامية والعربية، وفي هذا يقول رئيس تحرير المجلة في مقالته الافتتاحية لأول عدد صدر منها: " سميناها (المجلة الزيتونية)؛ نسبة للكلية الزيتونية التي صدرت منها " (المجلة الزيتونية، المجلد الأول، ص: ٣، ط: دار الغرب الإسلامي)، وقد جاءت فكرة إصدار المجلة إلى القائمين عليها؛ بسبب اهتمامهم بدينهم، ووطنهم، حين وجدوا الضلالات تَعُم، والمساوئ تنتشر، في الوقت الذي لم توجد فيه وسيلة نشرية واحدة، تختص بالدين، ونشر العلوم العربية، وإحياء التراث الإسلامي، فكان ولابد من إصدار هذه =

المجلة، التي كانت أمنية لكل الزيتونيين، وكان يحُول دون إتمام هذه الأمنية لهم عدة أسباب، حتى أراد الله إبرازها، فزالت العقبات من طريقها.

هدف المجلة: يتنوع الهدف العام لأي مجلة بتنوع جمهورها، واختلاف نهجها الذي تسير عليه، وقد كان الهدف الأسمى لـ(المجلة الزيتونية)، يتمثل في الإصلاح للمجتمع، دينياً، وثقافياً، وأخلاقياً، ولذلك يقول رئيس تحريرها في مطلع أول عدد منها: " وسيكون شعار المجلة في جميع أعمالها، وفي مختلف أطوارها: الإصلاح الديني، ومقاومة كل حركة ترمي إلى الإلحاد، أو إلى التعصب الديني، أو المذهبي، ومقاومة البدع بجميع أنواعها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وبث العلوم والمعارف، مع التزام الآداب في المناقشة، والأخذ بالرفق واللين، وتحاشي ما وقع فيه كثير من أهل العلم " (المجلة الزيتونية، المجلد: الأول، ص: ٥).

أعداد المجلة، وطريقة إصدارها: لقد تم التسجيل على غلاف المجلة في أول عدد صدر منها أنها مجلة شهرية، والسنة فيها عشرة أشهر ارتباطاً بزمن التدريس، وزمن العطلة التدريسية، تصدرها هيئة تعليمية من مدرسي جامع الزيتونة، ومن خلال تتبع الباحث لأعداد المجلة، وجد أنها قد أطلقت على العدد اسم (جزء)، وعلى السنة اسم (مجلد)، وقد جمعت (دار الغرب الإسلامي) أعداد المجلة، وطبعتها في تسعة مجلدات، تضم جميع الأعداد التي صدرت من المجلة في مدة عشرين عاماً من (١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م) حتى (١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م)، وعددها: (خمسة وسبعون) عدداً، إلا أن هذه الأعداد كانت غير منتظمة في إصدارها؛ حيث إن عُمْر المجلة عشرون عاما، وكان من المفترض أن تُصْدِر عشرين مجلداً، بكل مُجَلَّد عشرة أعداد، كما في المجلدات من الأول إلى الرابع، إلا أن المجلة أخذت في التوقف شيئاً فشيئاً، حتى كان آخر عدد صدر لها بتاريخ (١٥ من ربيع الأول ١٣٧٥هـ) الموافق (١ من نوفمبر ١٩٥٥م).

طريقة تبويب المجلة: لم تغفل المجلة هدفها الأسمى الذي تنشده، وهو (الإصلاح الديني، والإخلاقي، والعلمي.. إلخ)، فعرضت لطريقة تبويبها للمجلة في أولى إصداراتها " سيكون في المجلة باب بعنوان (القرآن الكريم)، يتبعه دروس التفسير التي يلقيها العالم الجليل/ محمد الطاهر بن عاشور، شيخ الإسلام المالكي بتونس في جامع الزيتونة، وسيكون في المجلة باب بعنوان (الحديث الشريف)، وباب بعنوان (التشريع الإسلامي)، وباب بعنوان (الفتاوى والأحكام)، وباب بعنوان (الوعظ والإرشاد)، وباب بعنوان (التاريخ)، وباب بعنوان (الأدب)، وباب بعنوان (الأخلاق)... " (المجلة الزيتونية، المجلد: الأول، ص: ٣- ٥ بتصرف).

=

المقال دينياً، أم أدبياً، أم نقدياً، أم تاريخياً، أم اجتماعيا، ومن ثم خلت (مجلة الزيتونة) من الأشكال النثرية الأخرى كالقصة، والمسرحية، إلا من ومضات قليلة متناثرة بين جنباتها كالخطابة، والترجمة، مما يدل على أن الكثرة الغالبة للفنون النثرية في هذه المجلة من نصيب الجانب المقالي، الذي صب فيه كُتّابُها أفكارهم، ولذا جاء التناول في هذا البحث متضمناً الشكل والأداء لتلك الاتجاهات المقالية على صفحات المجلة الزيتونية؛ لتكون خاصة بمباحثه.

ومن هنا يتبين أن (مجلة الزيتونة)، لم يسطع نجم المقال فيها، إلا بعد أن تطورت المقالة بصفة عامة، ونمت أغصانها، فجاء صدور المجلة في عام (١٩٣٥م)، وتنوعت المقالات فيها إلى أنواع كثيرة متنوعة بتنوع مجالات الحياة فيها، تناول منها الباحث بعض النماذج المقالية؛ للاستناد عليها، والاستشهاد بها، من المجلد الأول الصادر في (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م) حتى المجلد التاسع الصادر في (١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م).

كُتَّاب المجلة: لقد أوضحت المجلة من خلال غلافها عن شخصيتها الاعتبارية، التي تعبر عن وجهة نظرها، وذلك عن طريق أعضاء هيئة التدريس بجامع الزيتونة، فقد اعتمدت المجلة على الكثيرين منهم الذين أسهموا في إثراء المجلة بالمادة الأدبية والعلمية في شتى العلوم الدينية والدنيوية، وقد زاد عددهم على (المائة والسبعين) كاتبا، ومنهم: (محمد الطاهر بن عاشور -شيخ الجامع الزيتوني-، ومحمد الشاذلي بن القاضي -مدير المجلة- ، ومحمد بن الخوجة، ومحمد البشير النيفر، ومحمد المختار بن محمود، ومحمد الفاضل بن عاشور... إلخ).

الفصل الأول

الملامح الموضوعية لفن المقالة في مجلة الزيتونة

إن كاتب المقالة قبل أن ينتوي الكتابة في مقالته، قد يَمُرُّ ببعض العوارض النفسية، التي لا يمكنه الفرار منها، هذه العوارض النفسية قد تكون حيناً إيجابية، وحيناً آخر سلبية، وهذا ما ظهر جلياً في طبيعة الحياة المليئة بالمواقف، والأحداث العامة والخاصة، التي يعيشها المجتمع التونسي؛ ولذا عالج كُتَّاب (مجلة الزيتونة) هذه المواقف، والتجارب، والأحداث، من خلال مقالاتهم على اختلاف مشاربها، وأنواعها، فسجلوا فيها ما يعرض لهم في حياتهم بصفة خاصة، وفي حياة الأمة الإسلامية والعربية بصفة عامة، وأخذوا يُعبرون في مقالاتهم عما تجيش به صدورهم، وما يعتمل في فكرهم؛ من خلال حِسِّهم الأدبي، الذي يَعِي قيمة الإبداع الفني لدى القارئ والمتلقي.

وبعد استقراء من الباحث لتلك المقالات التي حوتها مجلة الزيتونة، وجد أن المجلة قد نوَّعت في تناول مقالاتها، ما بين (دينية، وأدبية، ونقدية، وتاريخية، واجتماعية)، ومن ثم كانت للمجلة رؤيتها الخاصة، في معالجة ما يعرض للمجتمع التونسي وغيره من قضايا، عن طريق تناول الباحث لشيء من تلك النماذج المقالية في المباحث التي تعرض في الصفحات التالية.

المبحث الأول
المقالة الدينية

تعد المقالة الدينية أغزر انتشاراً على صفحات المجلة الزيتونية، حيث أرْبَى عددها على المائة والعشرين مقالة[١]، وما من عجب في ذلك؛ لأنها مجلة جامعة الزيتونة، المصبوغة في

(١) كثرت المقالات الدينية، وازداد نشاطها في المجلة الزيتونية، ومنها -على سبيل المثال لا الحصر-: في **المجلد الأول**: مقالة (الدعوة إلى الإصلاح وأثرها في المجتمع٢) لصاحبيها/ محمد الحبيب المحامي، ص: ٢٥- ٢٩، الصادرة في رجب ١٣٥٥هـ- سبتمبر ١٩٣٦م/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٦٧- ٧٠، شعبان ١٣٥٥هـ- أكتوبر ١٩٣٦م، ومقالة (أشد الناس ضرراً على الدين أعداؤه الذين يعملون ضده وينسبون إليه) لصاحبها/ محمد المختار بن محمود، ص: ١٠٠- ١٠٣، رمضان ١٣٥٥هـ- نوفمبر ١٩٣٦م، ومقالة (ذكرى ولادة منقذ البشرية) لصاحبها/ محمد المختار بن محمود، ص: ٤٠٨- ٤١١، ربيع الأول ١٣٥٦هـ- مايو ١٩٣٧م، وفي **المجلد الثاني**: مقالة (كشف شبهات) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ١٦- ٢٤، شعبان ١٣٥٦هـ- أكتوبر ١٩٣٧، ومقالة (التعاضد المتين بين العلم والدين) لصاحبها/ محمد الحجوي، ص: ٧٤- ٧٩، رمضان ١٣٥٦هـ- نوفمبر ١٩٣٧م، وفي **المجلد الثالث**: مقالة (التشريع الإسلامي) لصاحبها/ محمد العزيز جعيط، ص: ٢٠- ٢٢، ذو القعدة ١٣٥٧هـ- يناير ١٩٣٩م، ومقالة (ذكرى الهجرة) لصاحبها/ محمد المختار بن محمود، ص: ٨٨- ٩٠، المحرم ١٣٥٨هـ- مارس ١٩٣٩م، ومقالة (التقوى وحسن الخلق) لصاحبها/ محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٢٢٤- ٢٣١، ربيع الأول ١٣٥٨هـ- مايو ١٩٣٩م، وفي **المجلد الرابع**: مقالة (الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٣- ٦، رمضان ١٣٥٩هـ- أكتوبر ١٩٤٠م، ومقالة (كيف أسس الإمام أبو حنيفة مذهبه) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ١٥- ١٧، رمضان ١٣٥٩هـ- أكتوبر ١٩٤٠م، ومقالة (تحريم الخمر في الإسلام وفي الشرائع السابقة) لصاحبها/ إبراهيم النيفر، ص: ١٩٩- ٢١٢، ربيع الأول ١٣٦٠هـ- أبريل ١٩٤١م، وفي **المجلد الخامس**: مقالة (الإسلام والمبشرون) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٢١٧- ٢١٩، صفر ١٣٦٤هـ- فبراير ١٩٤٥م، ومقالة (دور جامع الزيتونة نحو الدعاية المسيحية) لـ/ أسرة تحرير المجلة، ص: ٢٢١- ٢٢٢، صفر ١٣٦٤هـ- فبراير ١٩٤٥م، وفي **المجلد السادس**: مقالة (الحجاب من نواميس العمران =

أساسها بالصبغة الدينية، المشتملة على مجالات دينية عديدة لصور الحياة المختلفة، فقد تنوعت مجالاتها بين مقالات دينية تهتم بالدعوة إلى الله تارة، وبالحث على طلب العلم تارة أخرى، وبالجانب الفقهي تارة ثالثة، إلى آخر هذه المجالات التي تناولتها المجلة من تفسير للقرآن، وشرح للحديث وغير ذلك، وهاك بيان شيء من تلك المقالات على النحو التالي:

أولاً: مقالة الدعوة إلى الله:

جاء اهتمام مجلة الزيتونة بمقالات الدعوة إلى الله واسعاً، فقد حاولت المجلة أن تغطي المناسبات الدينية من جميع زواياها تغطية كاملة؛ وذلك لأخذ العظة والعبرة منها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: بعض المقالات التي تهتم بالمناسبات الدينية، كمناسبة المولد النبوي الشريف، من خلال مقالة للأستاذ/ محمد المختار بن محمود، رئيس تحرير مجلة الزيتونة في حينها، بعنوان (ذكرى ولادة منقذ البشرية الأعظم –صلى الله عليه وسلم–)، والتي يتحدث فيها صاحبها عن مبدأ الوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية، فيقول فيها: " إن من يتتبع سيرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في أقواله وأعماله، يتجلى له أن من أهم الأغراض التي كان يسعى إليها، ويجتهد فيها: تكوين الوحدة الإسلامية بقطع دابر الخلاف بين المسلمين، وإيجاد أسباب التودد والتراحم بينهم، ومعلوم أن أفتك الأمراض بالأمم هو

وأسباب التناسل) لصاحبها/ الناصر الصدام، ص: ٣٣٠– ٣٣٧، رجب ١٣٦٤هـ– يونيو ١٩٤٥م، ومقالة (الحرية الشخصية في الإسلام) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٤٥١– ٤٥٤، شوال وذو القعدة ١٣٦٤هـ– ديسمبر ١٩٤٥م، وفي **المجلد السابع**: مقالة (السفور والحجاب) لصاحبها/ محمد القروي، ص: ٦٤٤– ٦٤٨، ربيع الأول ١٣٦٦هـ– يناير ١٩٤٧م، وفي **المجلد الثامن**: مقالة (الحق يعلو) لصاحبها/ أمير الأمراء علي عبدالوهاب، ص: ٢١– ٢٢، جمادى الأولى والآخرة ١٣٧١هـ– فبراير ومارس ١٩٥٢م، ومقالة (الإمام سعيد بن المسيب) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٣٤– ٣٥، جمادى الأولى والآخرة ١٣٧١هـ– فبراير ومارس ١٩٥٢م، وفي **المجلد التاسع**: مقالة (من المجتمع وإليه) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٢٠– ٢١، ١٣٧٢هـ– ١٩٥٣م بدون ذكر الشهر في المجلة.

مرض التخاذل والانقسام، فالأمة التي تُبْتَلَى بهذا المرض تكون عرضة للفناء، ولُقمة سائغة لكل فم يريد ابتلاعها، فمن أجل ذلك جاء دين الإسلام بالحث على تقوية روابط المودة والاجتهاد في اجتثاث بذور الخلاف، وكان أول مظهر عملي قام به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في هذا الغرض، ما وضعه من التآخي بين المهاجرين والأنصار، حتى صار الأنصاري يتنازل للمهاجر عن ماله، وداره، وعن إحدى زوجتيه، ثم جاءت أقوال الشارع مؤكدة لذلك، فقال الله تعالى: " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم "(١)...، فنشأ المسلون في الصدر الأول على هذا النظام المحكم من المودة والمحبة، فسادوا، وشادوا، وبلغوا الغاية القصوى في العز، والشرف، ونفوذ الكلمة، ثم أخذ داء الانقسام يظهر بينهم، فتضعضعت كلمتهم، وتشتت شملهم، وضعف سلطانهم، وبَعْد أن كان الأدنى يأخذ بالذمة، صار أعلاهم لا ذمة له، وبعد أن كانت الأمة تتألم لألم الفرد، صار الفرد يسخر من ألم الأمة.."(٢).

لقد سلط كاتب المقالة سهامه إلى القلوب المتألمة على حال الأمة الإسلامية في تفككها وتشردها، والتي تتأرجح بين عوالم تتكالب عليها؛ بسبب فرقتها، وعدم وحدتها، حتى ضاع عزها، وانهدمت كرامتها، وزال شموخها، تلك الوحدة التي فيها خلاص العباد والبلاد من براثن الجهل والتطرف، ولذلك نرى الكاتب يؤكد على ضرورة هذه الوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية، والعمل على تحقيقها، وعدم التوقف عن البحث عليها، منادياً بها في كل محفل، وفي كل مناسبة، ومستغلاً لذكرى ولادة هذا المنقذ الأعظم –صلى الله عليه وسلم– للبشرية، جاعلاً من هذه الوحدة قضيته الدينية الأولى، آملاً في التئام جروح الأمة من وراء تحقيقها، ومشيراً إلى أن الإسلام أوشك على انطفاء نوره؛ بسبب تفرق المسلمين

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) المجلة الزيتونية، المجلد: الأول، ص: ٤٠٩– ٤١١.

وتشرذمهم، والأعداء في ذلك قد أحكموا سيطرتهم على المسلمين في كل مكان من أرض الإسلام، فامتزج بذلك الماء بالدماء، حتى إذا ظمأ الإنسان لا يجد ما يرتوي به إلا الهلاك والموت.

ثانياً: المقالة العلمية:

قدمت (المجلة الزيتونية) مقالات دينية عديدة متعلقة بالاتجاه العلمي، شَعَّ فيها نور العلم، وعَلَتْ منارته، ومنها: مقالة للأستاذ/ محمد الحجوي بعنوان (التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين)[١]، اشتملت على اثنتي عشرة حلقة، ومن هذه المقالات التي تندرج تحت هذا العنوان: قول الأستاذ/ محمد الحجوي: " الحكم بحال المسلمين المعاصرين على الإسلام الحقيقي هو نوع من القياس..، فتجدهم يقولون: ما تأخر المسلمون وهم يناهزون الأربعمائة مليون في أقطار الأرض تأخراً بيّناً، وضاع مجدهم، وفشلت ريحهم، إلا بتمسكهم بدينهم، ولولا دينهم ينهاهم عن العلوم العقلية ما تركوها، حتى كان تركهم سبب تأخرهم، وهذا من القياس الفاسد المبني على مقدمات عنكبوتية، جهلوا الدين، وجهلوا حال المسلمين؛ حيث ظنوا أنهم تابعون لأوامر دينهم، والحال أنهم عصاة ثائرون على الدين الحقيقي غير تابعين له، ولو تبعوه لأخذوا بكل ما يفيدهم في الحياتين معا، ويصلح أمرهم، ويحمي بيضتهم، ويصون مجدهم، ولو لم يكن فيه إلا آية " ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض "[٢]، لكان كافياً في تفنيد المفترين، لكن نبذوا أوامره فخسروا، وحين يرجعون لأوامره، ويعملون بها، تقبل ريحهم، وتزدهر أيامهم

(١) المجلة الزيتونية، ج: الثاني، ص: ٧٤- ٧٩، ص: ١١٣- ١١٦، ص: ١٦٤- ١٦٨، ص: ٢١٩- ٢٢٣، ص: ٢٦٢- ٢٦٥، ص: ٣٠٥- ٣٠٨، ص: ٣٧٢- ٣٧٧، ج: الثالث، ص: ٦٢- ٦٦، ص: ١٧٧- ١٩٧، ص: ١٩٣، ص: ٢٣٢- ٢٣٦، ص: ٢٧٢- ٢٧٤، ص: ٣١٧- ٣١٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

كما كان سلفهم، وليس معنى هذا أن من يتمسك بهذا الدين لا يكون له تقدم ولا مجد في الدنيا حتى يعترض على أوربا وأمريكا والجابون، كلا، فأولئك لهم أصول دنيوية، عملوا بها، ونبذوا دينهم، أو أخذوا ببعضه فتقدموا، ونحن لا ننكر المحسوسات، والمسلمون لهم دين يأمرهم بالتقدم فخالفوه وتأخروا، وحين كانوا ممتثلين له كانوا متقدمين... "[١].

ففي هذه المقالة المتعددة الحلقات، والتي اتكأ الكاتب في عرضها على الحوار العقلي الفلسفي، من جهة اعتماده على عرض فكرة علمية لها ارتباط وثيق بالجانب الديني، وإبداء الأدلة الدامغة على تجلية هذه الفكرة، دون الرجوع إلى الفن الأدبي؛ لأنه رأى أن هذه الفكرة العلمية الدينية لا تتماشى مع الخيال الأدبي، فهي أقرب إلى الدفاع عنها بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، التي لا تحتمل التأويل أو التفسير، ومن هنا يأخذ الكاتب على عاتقه في بيان هذا الارتباط الوثيق للدين بكل من العلم والعقل، مبيناً أثر هذا الارتباط الناجم بين كل منهم، ومؤكداً على عدم تعارض الدين الإسلامي لكل من العلم والعقل، وأن ما يذاع من أن تراجع المسلمين علمياً، وتفكك وحدتهم، وتخلف حضارتهم، عائد إلى تمسكهم بإسلامهم، الذي ينهاهم عن العلم، واستخدام العقل، مع أن الصواب في ذلك هو عكس ذلك؛ لأن هذا التقهقر الحضاري، والتأخر العلمي، إنما هو راجع إلى عدم تمسك المسلمين بعقيدتهم الدينية، وعدم التزامهم بمنج ربهم، وسنة نبيهم –صلى الله عليه وسلم–.

ثالثاً: المقالة الفقهية:

تفاوتت المقالات الفقهية في مجلة الزيتونة بين أحكام عدة، منها ما يخص جانب التشريع الإسلامي، ومنها ما يدخل في خضم هذه التشريعات الإسلامية من الأحكام الفقهية، والقضايا المذهبية، وقد حازت أحكام التشريع الإسلامي على النصيب الأوفر من

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الثاني، ص: ٣٧٧.

صفحات المجلة الزيتونية؛ حيث تناولت المجلة مقالات عدة، تضمنت أحكام التشريع الإسلامي، كتلك المقالات العشر المتوالية، التي تحدثت عن مراحل هذا التشريع الإسلامي، ثم فَرَّقتْ بين التشريع الإسلامي والتشريع البشري، وكلها لكاتب واحد فقط، وهو الشيخ/ محمد الهادي بن القاضي.

وقد كان الاحتلال الفرنسي للدولة التونسية، هو السبب الرئيسي في كثرة هذه المقالات الدينية الفقهية، التي تحدثت عن التشريع الإسلامي؛ وذلك لبيان المكانة العظمى لهذا التشريع الإسلامي من جهة، ولمحاولات التخلص من هذا الاحتلال، الذي يريد وضع دستور جديد للبلاد، لا يعترف بالدين، ولا يتعامل إلا مع قانونهم البشري من جهة أخرى، ولذلك يقول الكاتب الشيخ/ محمد الهادي بن القاضي في إحدى مقالاته: "كانت الشريعة الإسلامية، وهي خاتمة تلك الشرائع، أكمل تلك الشرائع، وأعمها نفعاً، وأشملها نظراً، وأمَسُّها بالحياة الفردية والاجتماعية من جميع نواحيها، ولذلك نجدها دخلت في جميع مرافق الحياة العامة، ووضعت القوانين والأسس لكل ما يصلح به البشر في شئونهم الخاصة وشئونهم العامة، فهي دِين، وقضاء، ومعاملات، وأخلاق، فأما من ناحية العقائد والعبادات: فأحكامها دينية لا تقبل التأويل، ولا التبديل والتغيير...، وأما من ناحية الأخلاق: فإنها تقرر من ذلك ما يتفق مع السنن الفطرية، والأصول المرتكزة في الخلقة، وأما من ناحية القضاء والمعاملات: فهي تتبع في ذلك قاعدة التيسير على الخلق، وإزالة التعسير عنهم، ودفع الضرر...، ومن ثم اتسعت أنظار الفقهاء في التشريع وتقرير الأحكام، خصوصاً فيما لا نص فيه عن الشارع، وهذا الموضوع دقيق شائك، حصل فيه خلاف كبير بين الباحثين المتأخرين من غربيين وشرقيين، فمنهم من ذهب إلى أن الفقه الإسلامي، وهو اسم لجميع الأحكام الفقهية، اجتهادية، ومنصوصة، تأثر بالقانون الروماني، وهو مذهب كثير من الغربيين المستشرقين، وهؤلاء لم يدرسوا الفقه الإسلامي درساً عميقاً، بل

اقتنعوا بدراسات سطحية، لا تعد كافية من الناحية العلمية، ومن العلماء من ذهب إلى أن الفقه الإسلامي لم يتأثر بالقانون الروماني أصلاً، ونفَى أصل العلاقة، وهو الحق الذي يثبته البحث العلمي "[١].

فهنا أوضح الكاتب المراحل التي مرَّ بها التشريع الإسلامي، وحاجة البشرية الماسَّة إلى هذا التشريع السماوي، وإلى نبذ القوانين الدنيوية، والشرائع الوضعية، التي هي من وضع البشرية، عن طريق الردّ على الادِّعاءات الباطلة التي تصدر من أيِّ إنسان ينكر القانون الإلهي والتشريع السماوي، ويدَّعِي أن الشريعة الإسلامية مقتبسة من التشريع الروماني، فيرد عليهم كاتب المقالة قولهم الزائف، مؤكداً على أنه لم تكن هناك علاقة بين الفقهاء الإسلاميين، وبين الرومانيين وقوانينهم؛ لأن المصدر الأساسي الأول للتشريع الإسلامي هو القرآن الكريم، ثم تأتي السنة النبوية المطهرة في المرتبة الثانية للتشريع الإسلامي.

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الثامن، ص: ١٠٣- ١٠٤.

المبحث الثاني
المقالة الأدبية

جاء تقسيم الأدباء والنقاد للمقالة مُقَسَّماً إلى أقسام متعددة؛ لسهولة دراستها، مما ينبئ عن صعوبة التصنيف للمقالات، والتي تنشأ من اختلاف زاوية الرؤية، والأساس الذي يقوم عليه التصنيف من حيث المنشئ، والأسلوب، والمضمون، وهذا يؤكد على أن أكثر المقالات، لا تندرج تحت تصنيف واحد، فالقضية النقدية، أو المشكلة الاجتماعية يمكن أن تصاغ بأسلوب أدبي خالص، فتكون المقالة أدبية من حيث الأسلوب، ونقدية أو اجتماعية من حيث المضمون، فالعبرة إذن بالمحور، أو الأساس الذي يقام عليه تصنيف المقالات، مما يعني أن المقالة الأدبية إنما تصاغ بأسلوب أدبي، يتسم بالشعور الوجداني الأدبي والخيال الفني، الذي يستحوذ على عاطفة المتلقي.

وقد عرَّف الدكتور/ أحمد هيكل (المقالة الأدبية) بقوله: "هي التي تدرس شخصية، أو ظاهرة، أو اتجاهاً، أو أثراً في الأدب العربي القديم، أو الحديث، أو في الأدب الأوروبي الغابر، أو المعاصر "(١)، إلا أن الدكتور/ أحمد حنطور، يري أن (المقالة الأدبية) من حيث المضمون أوسع في محتواها من ذلك، فيقول: " ليست المقالة الأدبية وقفاً على دائرة الدراسة والاجترار، وإنما تتخطاها إلي جسارة الإنشاء الفني، والإبداع الجمالي، ومن ثم يدخل فيها تلك المقالات الفنية الخالصة، التي تعني بتصوير النفس الإنسانية، وتجسيد المعاني الأدبية، مُجَرَّدة في القصد من فضاءات المنفعة الاجتماعية، والسياسية، والمعرفية المتنوعة، فهي لا

(١) تطور الأدب الحديث في مصر، د/ أحمد هيكل، ص ٣٧٥، ط: السادسة، دار المعارف.

تهدف إلي التثقيف، بقدر ما تعني بالتصوير الجميل، سواء تم ذلك من خلال تجسيد النفس في صورة متخيلة، أو بث المعاني في موقف خارجي مُحايد "(١).

ومن هذا المنطلق، اقتحمت (مجلة الزيتونة) طريق المقالة الأدبية (٢)، فتناولت المقالة الأدبية الإبداعية الفنية، التي خرجت من عمق أفكار الكاتب ومشاعره، والتي تذوَّقَت

(١) فن المقال في الأدب المصري الحديث (دراسة فنية تاريخية)، د/ أحمد محمد على حنطور، ص: ٨١، ط: الأولى، التركي ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(٢) تعددت المقالات الأدبية في معظم مجلدات المجلة الزيتونية، ومنها -على سبيل المثال لا الحصر- في **المجلد الأول**: مقالة (الحركة العلمية والأدبية) لصاحبها/ محمد المختار بن محمود، ص: ٩٦- ٩٨، الصادرة في شعبان ١٣٥٥هـ- أكتوبر ١٩٣٦م، ومقالة (المكتبات وعناية الأمم بها وتفريطنا فيها) لصاحبها/ محمد بن الشاذلي العنابي، ص: ٢٠٢- ٢٠٦، شوال ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م، ومقالة (على هامش الاحتفال برشيد رضا) لصاحبها/ محمد المختار بن محمود، ص: ٢٦٤- ٢٦٩، ذو الحجة ١٣٥٥هـ- فبراير ١٩٣٧م، وفي **المجلد الثاني**: مقالة (صوت من أعماق الماضي) لصاحبها/ أحمد اليحياوي، ص: ٣٥- ٣٧، شعبان ١٣٥٦هـ- أكتوبر ١٩٣٧م، ومقالة (تونس في القرن السابع) لصاحبها/ علي النيفر، ص: ١٢٢- ١٢٦، شوال ١٣٥٦هـ- ديسمبر ١٩٣٧م، وفي **المجلد الثالث**: مقالة (تأثير الأدب على رقي الأمم) لصاحبها/ شكيب أرسلان، ص: ٣٤٠- ٣٤٥، جماد أول وثان ١٣٥٧هـ- يوليو وأغسطس ١٩٣٩م، ومقالة (مجلة الأمالي اللبنانية) لـ/ أسرة التحري، ص: ٣٨٣، رمضان ١٣٥٨هـ- أكتوبر ١٩٣٩م، وفي **المجلد الرابع**: مقالة (مجلتا الوداد والتقدم المغربيتان) لـ/ أسرة التحرير، ص: ٢٢٣، ربيع الآخر ١٣٦٠هـ- أبريل ١٩٤١م، وفي **المجلد الخامس**: مقالة (تتمة لقصيدة عقد الدُّر والمرجان في سلاطين آل عثمان) لصاحبها/ أحمد بن الخوجة، ص: ١٤- ١٨، المحرم وصفر ١٣٦١هـ- يناير وفبراير ١٩٤٢م، ومقالة (التاريخ عند العرب قبل الإسلام) لصاحبها/ أحمد مهدي النيفر، ص: ٢٢- ٢٤، المحرم وصفر ١٣٦١هـ- يناير وفبراير ١٩٤٢م، وفي **المجلد السادس**: مقالة (خواطر الإنسان والحقيقة) لصاحبها/ محمد بن الشاذلي العنابي، ص: ٤٧٦- ٤٧٧، شوال وذو القعدة ١٣٦٤هـ- ديسمبر ١٩٤٥م، وفي **المجلد الثامن**: مقالة (أدب الأمير شكيب أرسلان) لصاحبها/ أحمد بن المختار، ص: ٨٦- ٨٩، رجب ١٣٧١هـ- أبريل ١٩٥٢م، ومقالة (البحتري من الشام إلى الشام) =

النتاج الأدبي، فدرسته دراسة فنية فاحصة، كما اهتمت المجلة بمكانة الأدب، وتاريخه، ودراسة شخصياته.

ومن هذه المقالات الإبداعية الأدبية في المجلة الزيتونية: هذه المقالة المعنونة بـ(صوت من أعماق الماضي) للشيخ/ أحمد اليحياوي، والتي يتحدث فيها بأسلوب أدبي، عن ذكرياته مع أحبابه، وأصدقائه، وأثر الصداقة في نفسه، ومنها قوله: " في عشيةٍ وادِعةِ النسيم، قُرْب مَغِيب الشمس، وقف على رأس تلك الربوة مستسلماً لخواطر كثيرة تعبث بأحشائه، تتجاذبه الأرياح من كل صَوْب، ومَدَّ بصَرَه المثْقَل بالدموع في الفضاء الواسع، إلى حَدِّ الأُفُق الأزرق، المتصل بالغيم الرقيق، وأصْغَى بِسَمْعِهِ لأصواتِ الطبيعةِ الباكيةِ، المنبعثةِ من رؤوس الجبال البعيدة، ثم أخذ يُرْجِع بصَرَه إلى السماء العالية، فيرى السُّحُبَ مُتَلَبِّدَة، تَسِير بِبُطْءٍ مُتجهة نحو الغرب، وقد آذنت الشمس بالمغِيب، فانتشرَتْ صُفْرة حزينة على الكون الصامت، فأكسبته روعة وجمالا، وَقَفَ هَاتِهِ الوقفة، يرى الطيور آيِبَةً إلى عشاشها بِخِفَّةٍ ونشاط، وقد ملكها الطَّرَب، تتناجَى وسط سمائها بألحان عذبة تملأ القلب طربا....، رأى ذلك كله، ووقف مبهوتاً مُعلّقاً أنفاسه، وقد فاضت عواطفه، وتأججت نيران الأسَى في دواخل ضميره...، وإذا بصوت رقيق من أعماق الماضي، يَشُقُّ لفَائِفَ قلبه: هذه أيُّها المسكين تلك الربوة التي كنتَ وقفتَ عليها —يوم أنْ كنتَ سعيداً– مع صديقك "(١).

فهذه المقالة الممتعة العميقة، التي تحدث فيها صاحبها عن الصداقة، وأثرها في نفسه، وعن خواطره النفسية الحائرة بين اليأس والرجاء، تبين سعة علم صاحبها بمنزلة الصديق،

لصاحبها/ محمد الفاضل بن عاشور، ص: ١٧٦– ١٧٩، شعبان ١٣٧٢هـ– مايو ١٩٥٣م، وفي **المجلد التاسع**: مقالة (أدب الأمير شكيب أرسلان) لصاحبها/ أحمد المختار، ٢٦– ٢٩، ١٣٧٤هـ– ١٩٥٥م بدون ذكر الشهر في المجلة.

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الثاني، ص: ٣٥– ٣٧، ط: دار الغرب الإسلامي.

وإحاطته بما تحتويه هذه الصفة، من مضامين فكرية، ونفسية عميقة؛ لذلك جاءت دراسته دراسة أدبية تحليلية عميقة، تدل على دقته في إصدار أحكامه بعد دراسة وافية، ففي معرض حديثه عن الأثر النفسي، الذي خلَّفَتْه الصداقة في كتابة مقالته، وجدناها تتسم بـ (سهولة اللفظ، وروعة الأسلوب، ودقة التعبير، ورِقَّةِ صورتها الفنية).

وفي جانب المقال الأدبي –أيضاً–، كان اهتمام المجلة بأثر الأدب شعراً ونثراً في النفوس والمجتمعات، ففي مقالة للأمير/ شكيب أرسلان بعنوان: (تأثير الأدب في رقي الأمم)، يجده الباحث يضع نُصْب عينيه في اهتمام بالغ حال الأمة في تابعيتها لغيرها من الأمم بعدما كانت عزيزة في مجدها، وحضارتها، متبوعة من غيرها، فيقول: " العالَمَ مُرَكَّب من مادة ومعنى، فالمادة جامدة صلدة صامته، لا تَعَلُّق لها بالإرادة، ولذلك فهي تنتظر التصريف من عالم المعنى، الذي هو المملكة الروحية القائدة المديرة المرشدة الآمرة الناهية، التي إذا تعلقت إرادتها بشيء، مَضَتْ تطلب أسبابه المادية، فكان عالم المادة خادماً لعالم الروح، وكان مقدار هذه الخدمة على نسبة مقدار الإرادة وقوَّتها، فإذا اشتَدَّت الإرادة في أمرٍ، أطاعته المادة فيها إطاعةً بعيدة المدى عميقة الغور، وإذا كانت الإرادة ضعيفة كانت طاعة المادة للإرادة ضعيفة، وجاءت خدمتها لها ضئيلة، كما نشاهد من أحوال الأمم اللائي لا يَزَلْنَ في دور الانحطاط، فإن استمرار قصورها مَنْشَؤُهُ الحقيقي، فَقْدُها لأسباب الرُّقِي المادية من بخار، وزيت، وكهرباء، وما أشبهها، وفَقْدُها لهذه الأسباب، إنما هو من ضعْفِ إرادة هذه الأمم في نشدانها، وضَعْف هذه الإرادة إنما هو من ضعف ملكة الأدب فيها، إذ لو كان ناشئة هذه الأمم يقرءون من الأشعار، ما يَهُزُّ أوتار أعصابهم، ويحفظون من الأزجال ما يثير كوامن نفوسهم، ويستظهرون من الحِكَم والمثال ما يُوَسِّع دائرة عقولهم، ويُطالعون

من التاريخ ما يفسح آفاق تفكيرهم، وما يُقِّي فيهم الرجاء، ويدفع اليأس إلى الوراء، لكانت الأمة أرقى حالاً، وأشد على العِلْم إقبالاً "(١).

فهنا في هذه المقالة، يجد الباحث كاتبها يتحدث عن أمة عريقة، كانت البلاغة طعامها، والأدب شرابها، محاولاً إعلاء الشأن الأدبي لهذه الأمة، التي انسلخت من ماضيها العتيق العريق، وارتكزت على حاضر غيرها البغيض، فسارت خلف الحضارة الغربية في مادياتها، وتناست روحانياتها، حتى اندثر اسمها، وضاعت كينونتها، وما ذلك إلا لأن الكائن البشري جسد وروح، ولا قيمة لهذا الجسد بدون روحه، وهذا ما ظهر جلِيَّاً في حياة أُمَّتِنا المادية الخالية من روحها الأدبية، والتي تناست أن الأدب هو الذي تقام به حضارة الأمة، وخصوصاً إذا غُلِّف هذا الأدب بالروح الإسلامية، حينئذ يرتفع بهذا الأدب شأنها، وتسمو به على غيرها.

ولم يكن اهتمام (مجلة الزيتونة) في مقالاتها، متوقفاً على الجانب الأدبي في إبداعه ومُبْدِعِيه فحسب، بل كان متناولاً لجوانب مهمة أخرى، كبيان الجانب التاريخي عند الأمة العربية قبل إسلامها وبعده، فكان التأريخ للأمة العربية في المجلة ليس محدداً بمبادئ معينة يتم الاستناد عليها، وإنما أرَّخَتْه بالنجوم والحوادث، وهذا ما وجده الباحث في مقالة للأستاذ/ محمد الشاذلي العنابي بعنوان: (المكتبات وعناية الأمم بها وتفريطنا فيها).

وفي هذه المقالة يقارن الكاتب بين المكتبة العربية والمكتبات الأخرى؛ لبيان كيفية اعتناء الأمم الأخرى بها، وتفريطنا فيها، فيقول: " ما من أمة كُتِب لها السُّمُو في الفن، والرُّقي في العلم، إلا كان سبب ذلك راجعاً إلى ما امتلجته (٢) عن طريق المكتبة من أفاويق

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الثالث، ص: ٣٤٠- ٣٤١.

(٢) أمْلَجَتْ الأم ولدَها: أي أرضعته، وامتلج الفصيل ما في الضرع: أي امْتَصَّه، ينظر: المعجم الوسيط، مادة: (م ل ج).

الحكمة والعرفان، فهذا عهد البطالمة بالإسكندرية، كان من أبرز مظاهره العلمية المكتبة المشهورة، التي اتُّهِم العرب بإحراقها عند فتحهم البلاد المصرية، وهذا العد الأموي كان من أبرز شخصياته العلمية (خالد بن يزيد الأموي)، الذي يرجع إليه الفضل في وضع الحجر الأساسي في المكتبة الإسلامية، بما جمعه من نفائس الكتب، ومثله العهد العباسي الذي ظهرت فيه العناية بالمكتبة على أيدي المنصور، والرشيد، والمأمون عناية بلغت بها إلى الغاية....، وما تلك العناية إلا أثر من آثار الاعتزاز بمجهودات الأسلاف، وتقدير لنتاج قرائحهم الدائبة، التي كانت تعمل لهداية الإنسانية الحائرة من الشكوك والأوهام، وقد أخذت هذه العناية تتضاعف ببلاد الغرب شيئاً فشيئاً، من عهد (ريشليو) إلى يوم الناس هذا، وظهر ذلك واضحاً جلياً بما تخصصه لها الحكومات من الاعتمادات الوافرة؛ لتوسيع نطاق أعمالها التي تؤديها للمجتمع من تثقيف وتهذيب...، تلك هي الحالة في بلاد الغرب، أما الحالة في البلاد الشرقية في القرن التاسع عشر، فتختلف باختلاف الأقطار، فمِصْر مثلاً لم تظهر عنايتها بالمكتبة إلا في عهد عزيزها (محمد علي)، الذي أولاها عناية نسبية دَلَّتْ على مبلغ تقديره لهذه الناحية في حياة الأمة وتَرَقِّيها...، أما غير (مصر) ومن بينها (تونس)، فقد كانت الاضطرابات الداخلية تصرفها عن ذلك، وتقعد بها عن مُسَايرة التطور العلمي الذي ظهر بأوروبا، فأصيبت من جرَّاء ذلك المكتبات الإسلامية بتلك البلاد بضربات نالت منها في الصميم، فتبعثرت مكنوناتها "(١).

فهنا في هذه المقالة، تظهر فجوة هائلة بين الثقافتين العربية وغيرها، فالثقافة الغربية يتبين فيها مدى الاهتمام البالغ، والعناية الكاملة، في اتحاد الجانب الفكري لهذه الأمم الغربية، نحو الاعتناء بالناحية العلمية، والمكتبات الأدبية، ونشر ثقافتها في شتى المجالات المختلفة، مما كان له الأثر البالغ في سُمُوِّها، وارتقائها بين نُظَرائها، أما الثقافة العربية فلم

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الأول، ص: ٢٠٣- ٢٠٤.

يكن لأصحابها أيّ دور في تقدمها، ومن ثم ظهر التراجع لمكانتها بين الأمم الأخرى، من خلال اضمحلال ثقافتها، وطغيان الأحداث الدائرة عليها، حتى ضاعت مكتباتها، واندثر عِلْمُها، وخَفَتَ نجمها، الذي كان ساطعاً في ظل إسلامها، ولم يَعُد هناك من يهتم بها وبعلمائها، الذين سطع نجمهم، وبرزت أهميتهم، وظهرت عظمتهم، في العصور الذهبية الأموية، والعباسية، والأندلسية.

ومن الجوانب الأخرى التي اهتمت بها (المجلة الزيتونية) في الإبداع الأدبي: اعتناؤها بدراسة الشخصيات، ومكانتها، وأسباب تميزها عن غيرها، فقد أبرزت شخصيات عديدة مؤثرة في العالم من حولها، ومن هذه الشخصيات –على سبيل المثال لا الحصر– شخصية الأمير الأديب/ شكيب أرسلان، من خلال مقالة بعنوان (أدب الأمير شكيب أرسلان دراسة– تحليل– نقد)(١) للكاتب/ أحمد مختار الوزير، هذه المقالة التي تهدف في مدخلها إلى توضيح جانب من أهم الجوانب الرئيسية، التي يجب على النفس البشرية أن تضعه نصب عينيها، وهو أن كل شخصية من الشخصيات في شتى المجالات، مهما ارتفع شأنها، لا تعلو على أن يتم تناولها بالنقد والتحليل، وكأن كاتب المقالة يريد الاعتذار عن تناوله لشخصيةٍ علَتْ شهرتها، ومكانتها، كشخصية الأمير/ شكيب أرسلان، فتحدث في بداية عرضه لمقالته عن هذه الشخصية، بأنها من أقوى الشخصيات، التي توجب على الأدباء والنقاد أن ينتبهوا إليها بالدرس والتحليل، موضحاً أسباب شهرة هذا الرجل، كـ(نَسَبِهِ الكريم، ثم ثقته في خطواته منذ صباه)، ثم تناول الكاتب اهتمامات الأمير/ شكيب أرسلان، التي كرَّس جهوده من أجلها، وهي العلاقة بين الأمة العربية المسلمة والأمم الغربية، وكيفية تراجع أمتنا العربية؛ بسبب نَبْذِها للقديم، وتقليدها الأعمى للغربيين، حتى اختلطت أمورنا، وتبدلت أحوالنا، وتزعزعت عقيدتنا، ولذلك يعلق كاتب المقالة (أحمد مختار الوزير)

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الثامن، ص: ٨٦– ٨٩، ١٧٣– ١٧٥.

على الجانب الأسلوبي للأمير (شكيب أرسلان)، من خلال مناقشته لعاملين مهمين، وهما: (السجع، وغرابة الألفاظ)، فيقول: " أسلوب الأمير واضح؛ لأن أفكاره التي يجليها بهذا الأسلوب قائمة في صفاء ذهنه، قياماً واضحَ الصور بين الحدود، دقيق التمثيل، وأسلوب الأمير جميل؛ لأن أفكاره التي يُجَليها في هذا الأسلوب، لها في طبيعة تأليفها نَفْس النسق الموسيقي الذي لصياغة الكَلِم، ولها في حواشيها رونق روحه الجميل، وإنْ كان يُجَوّز بك أحياناً إلى غرابة لفظية، وإلا فكيف يتقبل عصر الإسراع الذهني أمثال هذه الكلمات "(المِتْيَح، والانتجاف، وغيرهما) "(١)، ولكن ما وَجْه العَمْد إلى هذه الغرابة اللفظية؟ يجوز أن يكون مصدرها نوعاً من التحدي العلائي، كما يجوز أن يكون مصدرها ذلك التحدي الناشئ عن الذوق الخاص...، ويتقيد البيان الأميري بالسجع، ويلتزمه التزاما بما تراه يخرج عنه إلى التَّرَسُّل، وإلى حرية الانطلاق إلا قليلاً... "(٢).

وبعد هذه الدراسة الممتعة عن المقالة الأدبية على تنوع اتجاهاتها في مجلة الزيتونة، تبين للباحث عمق هذه الدراسة عند كُتَّابِها، وسعة علم أصحابها بدقائقها، وإحاطتهم بما يريدون معالجته من قضايا أدبية، تخدم المجتمع العربي والإسلامي، من خلال دراستهم العميقة، التي تدل على دقتهم في إصدار أحكامهم بعد دراستهم الوافية لكل ما يخدم مجتمعاتهم وآدابهم، وهذا هو الهدف الأسمى الذي تهدف إليه (المجلة الزيتونية)، من أن الأدب يُعَدّ مرآة للبيئة التي ينشأ فيها، وعلى صفحاته تنعكس ألوان السماء التي ينمو تحتها، وبين سطوره تتجَلَّى آلام الأمة وآمالها، وبأقلام رجاله تُحَلَّلُ العناصرُ الأساسية

(١) المِتْيَح: من مادة (ت ي ح)، وهو مَن يتعرض لما لا يعنيه فيقع في البلايا، وأما الشَّطْبة: من مادة (ش ط ب)، وأما الانتجاف: من مادة (ن ج ف)، بمعنى: نجَفَ الشيء نجْفاً أي: حَفَرَ فيه ووسَّع جوفَه، ينظر في ذلك المعجم الوسيط.

(٢) المجلة الزيتونية، المجلد: التاسع، ص: ٨٠- ٨١.

لأمراض الأمة الاجتماعية والخلقية، ومن إيمانهم بقضيتهم يكون الأدب دواء لأدواء مجتمعاتهم.

المبحث الثالث

المقالة النقدية

تناولت (مجلة الزيتونة) ما يدور في محور مقالاتها النقدية من بعض الخصائص الفنية، من خلال التعريف بهذه الخصيصة الفنية، وبيان قاعدتها الأدبية والنقدية، ورأي الأدباء فيها، وكيفية تطبيقها على الإبداع الأدبي، والناقد في مقالته النقدية إنما يسعى إلى تحفيز المبدع على استمراريته في إبداعه من جهة، وسعيه إلى الارتقاء بذوق المتلقي، وتنمية إحساسه الفني من جهة أخرى.

وقد أسهمت (مجلة الزيتونة) في ذلك بمقالات نقدية عديدة(١)، فتناولت من خلال هذه المقالات أهم موضوعات النقد الأدبي، كـ(التجديد في الأدب، والبكاء في الشعر

(١) تنوعت المقالات النقدية في المجلة الزيتونية، ومنها في **المجلد الأول**: مقالة (التجديد في الأدب العربي) لصاحبها/ الطاهر القصار، ص: ٣٣- ٣٦، الصادرة في رجب ١٣٥٥هـ- سبتمبر ١٩٣٦م، ومقالة (البكاء في الشعر العربي) لصاحبها/ محمد الفاضل بن عاشور، ص: ٨١- ٨٦، شعبان ١٣٥٥هـ- أكتوبر ١٩٣٦م، وفي **المجلد الثاني**: مقالة (العاطفة في الأدب العربي) لصاحبها/ أحمد المختار الوزير، ص: ١٨٢- ١٨٧، ذو القعدة ١٣٥٦هـ- يناير ١٩٣٨م، ومقالة (شذرات نقدية) لصاحبها/ محمد الناصر الصدام، ص: ٤١٣- ٤١٤، جمادى الأولى ١٣٥٧هـ- يوليو ١٩٣٨م، وفي **المجلد الثالث**: مقالة (الخيال في الأدب العربي) لصاحبها/ أحمد المختار الوزير، ص: ٧٦- ٧٩، ذو الحجة ١٣٥٧هـ- فبراير ١٩٣٩م، وفي **المجلد الخامس**: مقالة (العنصر العقلي في الأدب) لصاحبها/ أحمد المختار الوزير، ص: ١٢٩- ١٣٢، جمادى الأولى ١٣٦٣هـ- مايو ١٩٤٤م، وفي **المجلد السادس**: مقالة (العنصر العقلي في الأدب) لصاحبها/ أحمد المختار الوزير، ص: ٣٥٧- ٣٥٩، جب ١٣٦٤هـ- يونيو ١٩٤٥م، ومقالة (الحوار) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٥٧٢- ٥٧٣، ربيع الأول والآخر ١٣٦٥هـ- مارس وأبريل ١٩٤٦م، وفي **المجلد الثامن**: مقالة (كلمة في الشعر) لصاحبها/ الناصر الصدام، ص: ٧٩- ٨٣، رجب ١٣٧١هـ- أبريل ١٩٢٥م، وفي **المجلد التاسع**: مقالة (طريقة من شعر العرب في توجيه الخطاب إلى المرأة) لصاحبها/ محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٣٠٧- ٣١٣، ١٣٤٧هـ- ١٩٥٥م بدون ذكر الشهر في المجلة.

العربي، والخيال، والعقل... إلخ)، مما يدل دلالة واضحة على أصولية المجلة، التي تجنح إلى الاستقصاء، وضرب النماذج، والتطبيق عليها.

المقالة الأولى: (التجديد في الأدب):

حظي النثر الأدبي في (مجلة الزيتونة) بنصيب وافر من التجديد، فتنوعت أساليبه، واختلفت قِيَمُ آدابِه، وجاءت هذه المقالة النقدية المعنونة بـ(التجديد في الأدب) لصاحبها ومدير المجلة في سنواتها الأولى، الأستاذ/ الطاهر القصار، مؤكدة تأكيداً جازماً على التجديد الأدبي، ومواكبة التقدم الحضاري؛ لأن الطبيعي في الجانب الأدبي أن يتأثر بالقيم الحضارية، ويَحْذُو حَذْوَها، ويسير على خطاها، وبذلك تتفاوت نتائج تفكير مبدعيه، فيقول: "...، على أننا لا نعدم نقطة اجتماع بين أولئك وهؤلاء، فالجميع خلوا من الشعور فيما يقولون، وهُم متفقون في عدم اعتقاد ما يتكلفونه من المعاني، وكلهم يجري وراء الشهرة المزيفة، ويسعى للهتاف له بالمجتمعات والمحافل، فذلك يغوص في خضم اللغة، فيستخرج عقنقلها، وثمامها، ويجوب فدافد الأدب العربي، فينتقص أوابدها، وآرامها...، وهذا يظهر للملأ سابحاً في بحر الحياة الباسم، تتقاذفه أمواج الأثير الصاخبة، متشبثاً بأذيال اللانهاية القاتمة، يقذي عيون النظارة بحركاته المصطنعة المسرحية، ويؤذي الأسماع بأصوات من الشتائم موجهة تارة للأزمان التي لم تسعفه بما يؤمنه في الحياة، وتارة للدنيا التي قابلته بوجه متجهم...، هذا هو نغم اليوم الحديث الذي يُحَرِّك وَتَرَه كل مَنْ حُرِم المادة الثقافية، والفكر الصحيح، وقعدت به الهمَّة في مجال السباق العلمي عن بلوغ الغاية...، والخلاصة أنّ كلاً من القسمين لم يَقُمْ بالواجب عليه نحو أمته ولُغته، ولن يحني شعب من الشعوب شيئاً في معترك هذه الحياة، ما دامت أفراده على مثل تلك الحالة الفكرية "(١).

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الأول، ص: ٧٩- ٨١.

فهنا في هذه المقالة يُفَرّقَ كاتب المقالة بين التقليد والتجديد، موضحاً ومُلَخِّصاً لرؤيته في ذلك: أن أمتنا العربية، كانت تعيش في سبات عميق، وفي جمود فكري، وحينما استيقظت من نومها الفكري، أفاقت على تقليد أعمى لسموم الفكر الغربي، راغبة عن هويتها العربية، وعقيدتها الإسلامية، فلم تستطع أن تميز بين الجيد والرديء، ولذلك جاء الحِسّ الأدبي عند هؤلاء جامداً خالياً من الجمال الإبداعي، والجلال الفني، وكانت صياغتهم لألفاظهم مخالفة لقواعد لغتهم، وأغراضهم ضحلة في عناوينها، ركيكة في مفرداتها، ولكن الكاتب يحاول المقاربة بين الجمود الفكري والتقليد الغربي، مقارناً بين حال أمته في عصره وبين تجديد القدماء في العصور العربية الأولى، الذي جاء متناسباً مع اللغة، سائراً في محورها، وكانت الغاية العظمى لهذا التجديد متبلورة في تهذيب المعاني، وتنقيح الألفاظ، بصورة تتناسب مع المدنية العصرية، ثم تعدَّى هذا التهذيب للألفاظ والمعاني إلى العروض كما رأينا في العصر الأندلسي؛ نظراً لوجود فن التوشيح الذي فاقت شهرته في هذا العصر.

المقالة الثانية: البكاء في الشعر العربي:

يعد الشعر فناً من الفنون الأدبية الأصيلة، فهو قديم قدم البشرية؛ حيث إنه لازمَ الكائن البشري في نشأته، وأعماله، وطبيعة حياته، ولذلك احتفت به (مجلة الزيتونة)، فكُتِبت فيه المقالات الأدبية، ومنها هذه المقالة المعنونة بـ(البكاء في الشعر العربي) للشيخ/ محمد الفاضل بن عاشور، والتي بكى فيها الكاتب على شبابه، وتحدث عن رثائه لنفسه، ومحبته لوطنه، ثم رثائه للآباء، فيقول: " وقد تعددت أساليب البكاء في الشعر ومعانيه، باختلاف حال المُبْكِي عليه، ونسبته من الباكي، وأصبح ذكر البكاء أعظم مظاهر العاطفة الشخصية في شعر المراثي؛ لأن باب المراثي في الشعر العربي، باب يتجاذبه أصلان، أصلٌ هو شعر الملحمة من جهة ما فيه من ذكر الحروب، وبطولة المرثي، والحث على الثأر، وأصلٌ هو الإحساس من جهة ما فيه من لوعة الراثي، والخنوع لقهر الموت، وإحياء روابط

القرابة، وذكريات الوداد...، ومن هنا تفاوتت أغراض الرثاء في قوة المظهر الإحساسي، فكان أعلاها في ذلك رثاء النفس، ورثاء الآباء، وأدناها رثاء قتلى الحرب من غير الأقارب، والوسط في ذلك رثاء الأبناء... "(١).

لقد تناول الكاتب في مقالته بواعث الشوق، والحنين إلى الماضي، والبكاء عليه، فبدأ مقالته بعقد المقارنة حول الشعر، الذي نشأ في العصر الجاهلي على المظاهر البدوية، ثم أشرق على الدنيا، وفاض نوره بظهور الإسلام، وظل محتفظاً بعمق نشأته البدوية، التي حفظت له وحدته، فضرب الكاتب المثل في بداية مقالته بالإبل الحجازية، التي تنعم بالظلال الوارفة على جوانب الماء والخضرة بأرض العراق، ثم ترجع بعد قضاء رحلتها فرحة مسرعة إلى موطنها الأصلي، وقد تضمنت المقالة عدة بواعث للبكاء في الشعر العربي، ومنها: الموت، والفراق، والبكاء إلى القصور، والسماء، ثم الحديث عن البكاء ذاته، وعلاقته بشخصية الباكي وما يختلج صدره.

المقالة الثالثة: (الخيال في الأدب العربي):

تناولت (المجلة الزيتونية) مقالة نقدية بعنوان (الخيال في الأدب العربي) للأستاذ/ أحمد المختار الوزير، بَيَّن فيها أن الخيال هو الدافع وراء الألفاظ الشعرية التي حرَّكَتْ المشاعر، وهزَّت العواطف، ومن ثم يوضح من خلال مقالته مكانة الخيال، وأهميته في العمل الفني، فيقول: " الخيال له خطره، وأهميته في حياة الفن، ولا أتردّد إذا ما قلت له أعظم خطر في حياة البشر، فهو نبع السلوان، وفيض المسَرَّات، وهو مسرح الآمال، وهو النور الذي بِلَعْلَعَةِ إشراقِهِ، ووضاءة سنائه، ترى الأنظار الطامحة قدسية المُثُل العالية، وهو الذي أوجد الحضارة وخطر بها على معبر العصور من القديم الغابر إلى الجديد الحاضر، لولاه ما افتَنّ كاتب، ولا ترَنَّم شاعر، ولولاه ما صدح الوتر بمستعذب النغمات والألحان..، يقول الأستاذ/ ولتون

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الأول، ص: ٥٣٤.

من مشاهير علماء النفس الإنجليز، في حديثه عن منزلة الخيال في رقي النوع الإنساني: (إن رُقِيّ النوع الإنساني من ألفه إلى يائه، يرجع إلى شيئين هما: تَخَيُّر أمور خيرٌ من تلك التي في محيطنا، وبَذْلُ الجهود في سبيل إبرازها إلى عالم الحقيقة، وما الكنوز التي ورثناها عن الماضي إلا صوراً مُجَسَّمةً للخيال)، فكأن الخيال في نظر هؤلاء أنْ يُمْعِن الشاعر في طلب ما يستحيل حضوره في الذهن إلّا من طريق الوهم الباطل "(١).

ولا شك أن مقالة الكاتب/ أحمد المختار الوزير، في حاجة ماسَّةٍ إلى ما يعضدها، فيضرب مثالاً على تدعيم رؤيته من شعر (ابن خفاجة الأندلسي)، ينتقد في هذا النموذج الشعري شعر الطبيعة في قوله على وزن (بحر الطويل)(٢):

ومائِسَةٍ تُزْهِي وقَدْ خَلَعَ الحَيَا ..... عليها حُلَىً حُمْراً وأرْدِيةً خُضْرا

يَذُوبُ لها رِيقُ الغمامة فِضَّةً ويَجْمُدُ في أعطافِها ذهباً نَضْرا

فالوقفة النقدية هنا التي عبر عن الطبيعة فيها (ابن خفاجة) بالزهرة المائسة الجميلة، قُصِد منها أن شعر الطبيعة كله أندلسي ومشرقي؛ حيث إن الزهرة هنا ليست ذلكم الشيء المادي المألوف في عالم النبات، والمعروف بخصائص لونه البديع، وشكله الجميل، وفَوَحان عِطْرِه الجذاب، وإنما كانت رؤيته متمثلة في أنها كائنٌ حيٌ، له ما للكائنات الحيَّة من خصائص الحياة، ومن هنا أخذ في التساؤل مع خياله النقدي، ألَمْ تعجب هذه الزهرة بجمال حُسنها، وسِحْر جمالها؟ ألَمْ تُظْهِر مشاعرها وألوان زينتها من خلال حيائها؟

هكذا جاء التصوير الخيالي لـ(ابن خفاجة) في زهرة الربيع، والذي بدا واضحاً في امتلاء خياله وعينيه بالمدركات الحسية لهذه الزهرة، فصور من خلال خياله الزهرة كأنها فتاة

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الثالث، ص: ١٩١- ١٩٢، بتصرف.

(٢) المجلة الزيتونية، المجلد: الثالث، ص: ٤٣٣، نقلاً عن ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تحقيق: د/ السيد مصطفي غازي، ط: الثانية، مكتبة منشأة المعارف، الإسكندرية.

فاتنة الجمال، فيها استحياء وخيلاء، وفي أعطافها التَّرَنُّحُ والدلال، وفي استقامتها معاني الزَّهو والإعجاب، ومن هنا تبين أن الإبداع النقدي، والقدرة الخيالية عند (ابن خفاجة)، جعلته قادراً على الابتكار في عرض الجمال، وكأنه لم يحتفل بشيء غير الجمال في سائر شِعره.

ومن خلال التأمل الفاحص إلى مقالة (الخيال في الأدب العربي)، يتبين أن كاتب المقالة الأستاذ/ أحمد المختار الوزير، استخدم الأسلوب الاستقصائي لتحليل مقالته، وجعل كل نقطة مرتبطة بغيرها، وكأنها إجابة عما قبلها، وسؤال لما بعدها، فلم يبتعد عن ارتباط مشاعره وأحاسيسه بالدراسات النفسية، كما أنه لم يقتصر في مقالته على عصر دون آخر، وإنما استدل بأهل المشرق، والأندلس، وغير العرب، فأعطى مقالته صفة المقالة النقدية؛ لكي يُدَلِّل على بعض الإسهامات النقدية التي تفيد الجانب الأدبي في عمومه.

المقالة الرابعة: العنصر العقلي في الأدب:

احتوى الجانب المقالي في المجلة الزيتونية على مقالة نقدية أخرى بعنوان (العنصر العقلي في الأدب) للأستاذ/ أحمد المختار الوزير، والتي يبين فيها أن الجانب الفكري الذي عبَّر عنه بـ(العنصر العقلي) هو الذي يقوم عليه الأدب، ومن خلاله تتفجر القصيدة بالمعاني، والأفكار، والخواطر، والأخيلة، والتصوير الروحي للحياة؛ لكي تُدَلِّل على الإبداع الفكري لدي الكاتب، والنشاط الذهني لدى المتلقي، ولذلك يعضد الكاتب (أحمد المختار الوزير) كلامه في تحليل نَصِّه، واستنطاق العنصر العقلي بمثال لـ(أبي العلاء المعري)، يقول الكاتب فيه: " ويَحْسُن بنا في درس هذا العنصر العقلي أن نأخذ ابتداء في تحليل بعض الأمثلة؛ إذ لعل ذلك يُسَهِّل علينا أسباب التحصيل، ويعيننا بعض الشيء على الإمعان والتقصي في التأصيل والتفصيل، وأيْسَرُ ما أختارُهُ في الأمثلة هذه الأبيات المشهورة من شعر (أبي العلاء

المعري)، فقد عبَّر بها عن رأيه في اقتحام سبيل الحياة الشائك الوعر، فقال وقد أعياه المسير وكَدَّه وأضْنَاه "[١] على وزن (بحر الخفيف التام) [٢]:

"غَيْرُ مُجْدٍ في مِلَّتِي واعْتِقَادِي ... نَوْحُ بَاكٍ ولا تَرَنُّمُ شادِ

وشَبِيهُ صَوْتِ النَّعْيِ إذا قِيـ ... ـسَ بِصَوْتِ البَشِيرِ في كُلِّ وَادِ

أبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةِ أمْ غَنّـ ... ـتْ على فَرْعِ غُصْنِهَا المَيَّادِ

صَاحَ هَذِهْ قُبُورُنَا تَمْلَأُ الرَّحْـ ... ـبَ فأيْنَ القُبُورُ مِنْ عهدِ عادِ

خَفِّفِ الوَطْأَ ما أظُنُّ أدِيمَ الأرْ ... ضِ إلا مِـنْ هَـذِهِ الأجْسَـادِ "

ثم يستأنف مقالته قائلاً: " سَمِعْتَ صوتَ هذا النذير الصارخ، ينبعث من ظلمة اللحد، وسراديب أغوار الفناء، ويخترق الأجيال قوياً عاصفاً في جلجلةٍ راغيةٍ من ندباتِ ندباتِ الحزن وزفرات الحسرة، سَمِعْتَ دعاء هذا النذير، ورَنَّتْ أجراسُ أصدائه المفعمة، فملأت أذنيك، واضْطَرَبْتَ لها قليلاً، واحتارَتْ يقظات عقلك قليلاً، وتساءَلْتَ في قرارة نفْسِكَ وفي سِرِّكَ المحْجَب، تُرَى ماذا قال أبو العلاء؟

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الخامس، ص: ١٣٠.

(٢) الأبيات في ديوان (سقط الزند)، لأبي العلاء المعري، ص: ٨١، ط: مطبعة هندية بشارع المهدي، الأزبكية، مصر ١٣١٩هـ-١٩٠١م.

ولكنك حين يطول بك التقَصِّي والاستغراق سوف تضحك، وسوف تُطِيل الضحك؛ إذ تتكشَّف لعينيك مهزلة هذه الحياة، وهؤلاء الأحياء اللذين يحصدهم الموت في غير ما شفقة أو رِفْق...، ومن دراستنا لهذا المثال يتضح لنا أن العنصر العاطفي يتركز على فكرة التشاؤم، وهكذا يمكن الاقتناع باطراد هذه القاعدة، وهي أن النص الأدبي كيف كان قصيدة شِعر، أو تَرَسّل نثر، رواية، أو مقالة، لابد أن يمد الفِكر، ويزود العقل بصورة الحياة، وحقائق الوجود... "(١).

فهنا نجد أن الكاتب (أحمد المختار الوزير) جعل من العنصر العقلي أساساً قوياً من أسس أي عملٍ أدبي، لا تكتمل اللذة والثراء لهذا العمل الأدبي إلا من خلال إعمال الجانب العقلي والفكري، ولذا يقرر رأيه هذا في حلقة أخرى من مقالته فيقول: " هذا العنصر العقلي في فن الأدب هو الروح الذي يعمر هياكل الشعر، ومن دون هذا يفقد الأدب ميزة التأثير والإلهام "(٢).

ومن هنا يتبين أن هناك أموراً لابد من تطبيقها عند الأديب، وهي الموازنة بين كل من (الخيال العاطفي، والعنصر العقلي)، فلا يخلو كلامه من العاطفة من أجل الاهتمام بالثقافة؛ لأن المادة التي يقدمها حينئذ تصبح علمية لا أدبية، كما يجب عليه أيضاً ألا يخلو كلامه من الجانب الفكري؛ حتى لا تصبح مادته أُغْنِية ذاتية، لا تفيد المتلقي في شيء.

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الخامس، ص: ١٣٠- ١٣٢.

(٢) المجلة الزيتونية، المجلد: السادس، ص: ٣٥٧.

المبحث الرابع
المقالة التاريخية

حَوَت (مجلة الزيتونة) العديد من المقالات التاريخية [(١)]، وكان أكثرها متجهاً نحو الدولة التونسية بصفة خاصة، والأقطار العربية بصفة عامة، على اعتبار أن التاريخ أحد عناصر

(١) من المقالات التاريخية في المجلة الزيتونية: مقالة (صحيفة من تاريخ تونس) في **المجلد الأول** لصاحبها/ محمد بن الخوجة، ص: ٧١- ٧٦، الصادرة في شعبان ١٣٥٥- أكتوبر ١٩٣٦م، ومقالة (المسلمون في فينلاندا) لصاحبها/ عثمان الكعاك، ص: ٢٠١- ٢٠٧، شعبان ١٣٥٥- أكتوبر ١٩٣٦م، وفي **المجلد الثاني**: مقالة (التآليف المولدية) لصاحبها/ محمد عبد الحي الكتاني، ص: ١٣- ١٥، شعبان ١٣٥٦هـ- أكتوبر ١٩٣٧م، ومقالة (متى كان ظهور النياشين التونسية) لصاحبها/ محمد بن الخوجة، ص: ٢٧- ٣١، شعبان ١٣٥٦هـ- أكتوبر ١٩٣٧م، وفي **المجلد الثالث**: مقالة (وزراء تونس قبل الحماية وبعدها) لصاحبها/ محمد بن الخوجة، ص: ٢٦- ٣٢، ذو القعدة ١٣٥٧هـ- يناير ١٩٣٩م، ومقالة (الخطوط الكوفية وتاريخ أدوارها بالقيروان) لصاحبها/ محمد الطراد، ص: ١٩٩، صفر ١٣٥٨هـ- أبريل ١٩٣٩م...، وفي **المجلد الرابع**: مقالة (صفحة من تاريخ تونس) لصاحبها/ محمد بن الخوجة، ص: ٨٣- ٨٦، ذو القعدة ١٣٥٩هـ- ديسمبر ١٩٤٠م، ومقالة (تاريخ الهجرة المحمدية) لصاحبها/ محمد المقداد الورتاني، ص: ١٥١- ١٥٨، المحرم ١٣٦٠هـ- فبراير ١٩٤١م...، وفي **المجلد الخامس**: مقالة (تاريخ تأسيس القيروان وسُورها إلى اليوم) لصاحبها/ محمد الطراد القيرواني، ص: ١٩- ٢١، المحرم وصفر ١٣٦١هـ- يناير وفبراير ١٩٤٢م، ومقالة (الحضارة الإسلامية في صقلية) لصاحبها/ محمد الفاضل بن عاشور، ص: ٨٢- ٨٦، ذو القعدة ١٣٦٢هـ- نوفمبر ١٩٤٣م...، وفي **المجلد السادس**: مقالة (أصل بيعة الرضوان وما نزل فيها) لصاحبها/ محمد الطراد، ص: ٣٤٧- ٣٤٩، رجب ١٣٦٤هـ- يونيو ١٩٤٥م، ومقالة (الأزمات الدينية في التاريخ التونسي) لصاحبها/ عثمان الكعاك، ص: ٣٥٢- ٣٥٦، رجب ١٣٦٤هـ- يونيو ١٩٤٥م...، وفي **المجلد الثامن**: مقالة (الحروب الصليبية أسباب ونتائج) لصاحبها/ تهامي الزهار، ص: ١٢٩- ١٣٤، رجب ١٣٧٢هـ- أبريل ١٩٥٣م، ومقالة (مدينة صبرة المنصورية) لصاحبها/ مصطفى سليمان زبيس، ص: ١٣٥- ١٤٠، رجب ١٣٧٢هـ- أبريل ١٩٥٣م..، وفي **المجلد التاسع**: مقالة (العواصم التونسية في العصور الإسلامية) لصاحبها/ مصطفى =

القومية العربية الإسلامية، التي ولدت (المجلة الزيتونية) من رحمها، وهذا الدافع وإن كان ذاتياً، إلا أن الذي زاد في قوة دفعه اتجاه بعض الكتاب إلى بيان أهمية التاريخ، ودراسته في العلوم الأدبية، والشرائع الدينية، فهي تعني " بتناول الأحداث والمواقف والأشخاص والعصور والثورات التاريخية بالدرس والتمحيص وعرض جوانبها في نظرات تحليلية كاشفة "(١).

وقد حرص الكُتَّاب التاريخيون للمجلة، على إبراز هذه الصفحات المضيئة من تاريخ دولتهم، وأمتهم العربية والإسلامية؛ لتَقْوية عزائم الشباب، حتى يهزموا واقعهم المرير، ويتغلبوا على الصعوبات التي تواجههم، من تكالب أمم الغرب عليهم؛ بسبب تخلف شعوبهم عن غيرهم، فهو –أي التاريخ– يعد بمثابة العلم الضروري في حياة الأمم، وإذا أمعنا النظر في المقالة التاريخية، التي تعرض على صفحات (المجلة الزيتونية)، لوجدنا أنها تأتي على شكلين، الأول منهما: يهتم بتاريخ الدولة التونسية، والثاني: يهتم بالتاريخ الإسلامي.

أولاً: التاريخ التونسي:

وهو يعني بدراسة ما يخص الأسرة الحسينية الحاكمة، وشئونها، وأصولها، فتتناول المجلة الحديث عن انتشار الشرف، وعن كيفية وصول الأشراف المنسوبين إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– كالحسن والحسين إلى تونس، ولم تتوقف المجلة في أحاديثها عند الأسرة الحسينية فقط، بل تناولت الملوك التونسيين في زمن الدولة المرادية، وإن لم يَطُلْ حديث كُتَّابِها في ذلك.

زبيس، ص: ٣٠– ٣٣، ١٣٧٢هـ– ١٩٥٣م، ومقالة (ولاية خير الدين– الصدارة في السلطنة العثمانية) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٢٧٥– ٢٨٣، ١٣٧٤هـ– ١٩٥٥م.

(١) فن المقال في الأدب المصري الحديث، د/ أحمد حنطور، ص: ٩٨.

ومن المقالات التي تناولت تاريخ تونس: هذه المقالة (تاريخ تونس) للكاتب الشيخ/ محمد المختار بن محمود، التي تحدثت عن تأسيس جامع الزيتونة، ومنشآته، ومكتباته، وقد ابتدأها بالتأريخ للمكتبات الإسلامية بصفة عامة، ثم لمكتبات جامع الزيتونة، ثم انتقل للحديث عن تاريخ الجامع، وواضع حجر أساسه وهو الصحابي الجليل (عبيد الله بن الحبحاب)، ثم الحديث عن الجامع الزيتوني ومكانته كجامعة علمية دينية تقوم على نشر العلوم والمعارف، وفيها يقول عن تأسيس جامع الزيتونة: " وقد اختلف المؤرخون التونسيون في مؤسِّسِه، وأصح تلك الروايات أن الذي أسَّسه هو (عبيد الله بن الحبحاب) في العام الرابع عشر من القرن الثاني للهجرة، وعليها اقتصر غالب المؤرخين من القدماء والمحدثين، وذُكِرَت رواية أخرى أن الذي أسسه هو (حسان بن النعمان)، وقد جمع (ابن دينار) بين الروايتين بأن (حسان) هو الذي فتحها (أي تونس)، وبنَى بها مسجداً، و(عبيد الله بن الحبحاب) زاد في ضخامته...، وقد أُسِّس جامع الزيتونة على أن يكون محلَّ عبادة، ولما كان المسلمون في العصور الأولى يقومون في الجوامع بكل ما يهمهم من الشئون التي لا تنافي ما يجب لبيوت الله من الاحترام، فقد صار جامع الزيتونة محلاً للتعليم، ولا يوجد تاريخ لتنظيم التعليم فيه؛ لأن تلك الدروس لم تكن في أولها نظامية بالأسلوب المتعارف اليوم، فمن العسير ضبط تاريخ وجودها به، والظاهر أن الدروس صارت تلقى فيه من القرن الثالث، ثم أخذت تنتظم شيئاً فشيئاً إلى ابتداء الدولة الحفصية سنة ٦٠٣هـ، فعند ذلك ازدهر التعليم بجامع الزيتونة، وكثر انتشاره، وتفنن الناس في مختلف العلوم والفنون، وتخصصوا فيها حتى اشتهر كل واحد بما تخصص فيه...، وكان من أعلام ذلك العصر: (ابن عبدالسلام، وابن عرفة، وابن خلدون) "(١).

(١) المجلة الزيتونية، المجلد الثاني، ص: ٥٠- ٥٢.

هذا إلى جانب اهتمام المجلة الزيتونية في مقالاتها بالتأريخ السياسي، فتناولت الوزراء، وأعمالهم، كما عرضت لتاريخ دخول الأزياء الأوروبية في العادات التونسية.. إلخ، لكن الملاحظ على معظم المقالات التاريخية لتاريخ الدولة التونسية، أنها صُبِغَت بالصبغة العلمية أكثر من الصبغة الأدبية؛ لأن اعتناءها كان بالتاريخ أقوى، والتحقق من أسماء القادة والمسئولين، وأماكنهم، وأحداثهم؛ ولذلك كانت مفتقدة في تعبيراتها للحِسِّ الأدبي.

ثانياً: التاريخ الإسلامي:

لم تقتصر (مجلة الزيتونة) على تاريخ الدولة التونسية فحسب، بل تعدت ذلك بالحديث عن تاريخ الأمة الإسلامية، فتناولت الكيفية التي وصل بها الإسلام إلى البلاد العربية، وأعداد المسلمين، ومكانتهم وسط غير المسلمين، وكيفية معيشتهم معهم، ومن ذلك ما عرضته المجلة عن الحضارة الإسلامية في (صقلية) من مقالة للشيخ/ محمد الفاضل بن عاشور بعنوان (الحضارة الإسلامية في صقلية)، والتي يوضح فيها السماحة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين، فيقول: " وكان المسلمون فيها يعيشون إلى جنب أهلها من النصارى، الذين بقيت لهم حرية التقاضي إلى رؤسائهم في أحوالهم الشخصية، وبقيت ألقاب حكامهم على ما كانت عليه في عهد التبعية البيزنطية، وبقيت لهم كنائسهم التي كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي، ولم يكن مفروضاً عليهم غير الجزية الشرعية، التي كان مقدارها أقل بكثير مما كان مفروضاً عليهم، وعلى غيرهم من أهل السلطة البيزنطية، كل هذا التسامح الإسلامي كان مجتمعاً إلى روح دينية قوية، وعناية كافلة بإظهار شعائر الدين وتعظيمها، فقد بلغ عدد المساجد بـ(بَلَرْم) وحدها ثلاثمائة في كل مسجد معلم للقرآن، ومعلم القرآن لا يُكَلف بالخروج للجهاد عند مصادمة العدو، ولعل هذه الكثرة في المساجد هي التي جعلت الصومعة شعاراً لصقلية، فقد ذكر مؤرخو الإفرنج أن راية مسلمي (صقلية) كانت خضراء، وفي وسطها صورة صومعة سوداء.....، كما أمَدَّت (صقلية) عالم

الفكر الإسلامي والأدب العربي بأعلام، لم يحدد صفتهم شرق ولا غرب، فمن أعلام الفقه: الإمام الفرد (أبو عبدالله محمد المازري) المتوفى سنة ٥٣٦هـ، ذو الصيت البعيد، والأثر الخالد في التآليف القيمة، والإمام الشهير (محمد بن عبدالله بن يونس الصقلي) صاحب كتاب (الجامع في الفقه المالكي) توفي سنة٤٥١هـ، والفقيه الكبير (عبدالحق بن محمد الصقلي) المتوفى بالإسكندرية سنة ٤٦٦هـ....، ومن أعلام السياسة: القائد العظيم (جوهر الصقلي)، فاتح الشرق للعبيديين، ومنشِئ مدينة القاهرة، ومن الأدباء: من لا يحصى كثرة، ولا يفاضل شهرة، حتى أن (أبا القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي) المعروف بـ(ابن القطاع) المتوفى بمصر ٥١٠هـ، ألف كتاباً سماه (الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة)، اشتمل على (مائة وسبعين) شاعراً، وعلى (عشرين ألف) بيت، وأشهر شعراء صقلية عند أهل الأدب اليوم (عبدالجبار بن حمديس)، الذي خرج من صقلية سنة ٤٧١هـ، وتنقل بين الأندلس، وبجاية، وأفريقية، وتوفي سنة ٥٢٧هـ "[١].

فمن خلال هذه المقالة وغيرها يتبين أن التاريخ الإسلامي حظي بنصيب وافر عند كُتَّاب المجلة الزيتونية؛ وذلك اعتزازاً منهم بتاريخهم الإسلامي الشامخ، وبعربيتهم الأصيلة، وهذا ليس ببعيد عن هؤلاء العظماء من الكُتَّاب الإسلاميين، فإن حُبَّهم لدينهم، وتاريخهم الإسلامي العريق، هو الذي أوحى إليهم بهذه النفائس والدُّرر المكنونة في مقالاتهم، وما من شك في أن هذه المحبة الكامنة في نفوس كُتَّاب هذه المجلة الزيتونية، قد أعطت صورة صادقة مُحَفِّزة للقارئ على استدامته في الاطلاع دوماً على نتاج مجلتهم، فجعلت أحاسيس المتلقين تنبض بالحركة تجاه تاريخهم الإسلامي الشامخ، الذي يقوم على أن الدين الإسلامي هو دين العفو والسماحة حتى مع غير المسلمين، دين خير وسعي في جميع المجالات، دين العدالة والمكرمات، وليس دين رهبانية وجمود وتخلف.

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الخامس، ص: ٨٥- ٨٦.

المبحث الخامس
المقالة الاجتماعية

عاشَت (مجلة الزيتونة) متفاعلة مع أحداث مجتمعها، فلم يكن كُتَّابها بمعزل عن واقع مجتمعهم، فعاشوا وعي الحاضر مراقبين عن كثب ما يستجد على ساحة بلادهم من أوضاع اجتماعية، ولذلك ساهموا بمقالات تناقش مشاكل المجتمع، وعبَّروا عن همومه منذ اللحظة الأولى، محاولين تحديد أسباب ذلك، والبحث عن علاج تلك الأمراض المجتمعية، فكان لزاماً عليهم أن تكون كتاباتهم صادرة عن رفض تام لكل ما يجري في المجتمع من مساوئ وأخطاء؛ لأنه من المستحيل على الكاتب أو الأديب " أن يعيش منعزلاً عن مجتمعه، ومواقف الحياة فيه، وسواء صور هذا المجتمع، أو صور نفسه، أو صور الحياة الإنسانية العامة، فإنه يصدر عن روح مجتمعه، وروح أفراده الذين يخاطبهم، مستمداً من الواقع، أو من غير الواقع وحياً لعواطفه ومشاعره "[١].

وما كان لكُتَّاب المجلة أن يغُضُّوا أبصارهم، أو يَصُمُّوا آذانهم عما يدور في مجتمعهم، فقدَّمُوا مجموعة من المقالات[٢] التي تتحدث عن طرق الإصلاح الاجتماعي، وجَعْل الدين

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ص: ١٩٣، ط: الثانية، دار المعارف.

(٢) من المقالات الاجتماعية التي قدمتها المجلة الزيتونية: مقالة (لمحة خاطفة من حياة الشباب في العصر الحاضر) لصاحبها/ محمد العنابي، والتي تم عرضها في **المجلد الأول**، ص: ٤٥- ٤٦، الصادرة في رجب ١٣٥٥هـ- سبتمبر ١٩٣٦م، ومقالة (المشاريع بين العزائم الصادقة والمثبطين للعزائم) لصاحبها/ محمد المختار بن محمود، ص: ٤٧- ٥٢، شعبان ١٣٥٥هـ- أكتوبر ١٩٣٦م..، وفي **المجلد الثاني**: مقالة (الجمعية الخيرية الإسلامية بتونس) لصاحبها/ محمد المختار بن محمود، ص: ٣١٩- ٣٢١، صفر ١٣٥٧هـ- مارس ١٩٣٨م، ومقالة (سعادة الأمة بتعاون أفرادها) لصاحبها/ الطاهر النيفر، ص: ٤٠٠ ٤٠٧، ربيع الأول والآخر وجمادى الأولى ١٣٥٧هـ- مايو ويونيو ويوليو ١٩٣٨م..، وفي **المجلد الثالث**: مقالة (حول حياة فقيد الإسلام الشيخ =

الإسلامي هو الأساس الأول في الإصلاح قبل اتخاذ القرارات؛ لأن آخر الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، كما أن استبدال المنهج السماوي الرباني بالمنهج البشري إنما يعد هدماً كاملاً للمجتمع الإسلامي، ومن هذه المقالات –على سبيل المثال لا الحصر– ما جاء في مقالة (الإصلاح الاجتماعي) لصاحبها الأستاذ/ سالم بن حميدة، والتي يتعرض فيها للآثار المقيتة الناجمة عن استبدال المنهج الرباني القويم بالمنهج البشري، فيقول: " وإن المجتمع التونسي بالأخص، والمجتمع الإنساني عموماً، لا يصلح جميعها إلا إذا كان إكسير إصلاحه وقوامه، ذلك التوحيد المُوَحِّد لجهود السَّاعِين لِما به يتوَحَّد، فيحيَى ويسعد جنس

محمد بن يوسف) لصاحبها/ محمد الناصر الصدام، ص: ٤١٤– ٤١٦، ربيع الآخر ١٣٥٩هـ– مايو ١٩٤٠م، ومقالة (موت العال ثلمة) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٤٢٦– ٤٢٧، ربيع الآخر ١٣٥٩هـ– مايو ١٩٤٠م..، وفي **المجلد الرابع**: مقالة (العيد) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٥١– ٥٣، شوال ١٣٥٩هـ– نوفمبر ١٩٤٠م، ومقالة (مشكلة الزواج الكبرى) لصاحبها/ محمد المختار بن محمود، ص: ٢٥٨– ٢٦١، جمادى الأولى ١٣٦٠هـ– يونيو ١٩٤١م..، وفي **المجلد الخامس**: مقالة (النصيحة والمراقبة وأثرهما في الفرد والمجتمع) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ١٩٤– ١٥٢، جمادى الآخرة ١٣٦٣هـ– يونيو ١٩٤٤م، ومقالة (الهيئة الاجتماعية ومقوماتها) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٣٠٦– ٣٠٧، جمادى الأولى ١٣٦٤هـ– مايو ١٩٤٥م..، وفي **المجلد السادس**: مقالة (الإصلاح الاجتماعي) لصاحبها/ سالم بن حميدة، ص: ٣٣٩– ٣٤١، رجب ١٣٦٤هـ– يونيو ١٩٤٥م، ومقالة (الشباب والروح الدينية) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٥٤٧– ٥٤٨، المحرم وصفر ١٣٦٥هـ– يناير وفبراير ١٩٤٦م..، وفي **المجلد السابع**: مقالة (السنن الكونية لارتقاء الأمم وانحطاطها) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٦٤١– ٦٤٣، ربيع الأول ١٣٦٦هـ– يناير ١٩٤٧م، وفي **المجلد الثامن**: مقالة (مقومات الرأي الصحيح) لصاحبها/ التهامي الزهار، ص: ٩٠– ٩١، رجب ١٣٧١هـ– أبريل ١٩٥٢م، ومقالة (دعوة الشباب لتعاليم الإسلام) لـ/ إدارة تحرير المجلة، ص: ١٤٥– ١٤٦، شعبان ١٣٧٢هـ– مايو ١٩٥٣م، وفي **المجلد التاسع**: مقالة (التَّسَلح الخلقي) لصاحبها/ محمد الشاذلي بن القاضي، ص: ٩٧– ١٠٠، ١٣٧٤هـ– ١٩٥٥م بدون ذكر الشهر في المجلة، ومقالة (جرائم المخدرات وما تسببه، وطرق علاجها) لصاحبها/ محمود الباجي، ص: ١٨١– ١٨٦، ١٣٧٤هـ– ١٩٥٥م بدون ذكر الشهر في المجلة...

الإنسان، فجدير بمن يربو بكرامته، عن أن تخنع للسماوات والأرض وما بينهما، إلا بحقِّ واحِدٍ يستحق ذلك، وخليق بمن يَمْحِي حُرمته الذاتية، من الخشوع لكل ما يدخل، أو يمكن أن يدخل تحت قيد حِسِّه، وتصوره، وإدراكه، إلا بحقِّ ذلك الحق الواحد، وأجدرُ بمن يكلأ حرمته من الامتهان لخير يناله، أو شَرٍ يُصِيبه، من غير طريق هذا الحق الواحد...، ولمثل تكوين هذا الإيمان في قلوب البشر، فليعمل العاملون لإصلاح المجتمع؛ لأنه هو الدعامة الأولى في بناء كل عمل صالح، وهو هو الحجر الأساسي لكل إصلاح وصلاح، وهو هو الحَدّ الفاصل بين الحق والباطل، والموت والحياة، والسعادة والشقاء، والجنة والنار...، فهل للشباب المسلم أن يثق بما أودعه الله فيه من كرامة، ويعتمد على ما خَصَّه الله به من جليل حرمه، ويُعانق إلى الأبد ما أفرغه الله عليه من سوابق حرية، ويتضرع بما مَكَّنه من استقلال شخصي، ويؤمن باستخلاف الله تعالى له في أرضه، فيرضَى بما منحه إياه، ويُرضِيه، ويُوحِّده تعالى توحيداً خالصاً نقياً، ينحصر به خوفه ورجاؤه وطمعه وأمانيه دون سواه، ثم يبحث ببصره وبصيرته عما وسع الله تعالى ليسمعه، حتى لكأنه يراه، وينادي على لسان نبيه، فيحله على عرش خلافته (إنها لا تسعني السماوات والأرض، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن) "[١].

فهنا يلقي الكاتب الأستاذ/ سالم بن حميدة الضوء على أن الإنسان المسلم يعيش حياته مرة واحدة، ولذلك لابد أن يعيشها بكرامة في ظل دينه وإسلامه، وكأنه يوجه أنظار المتلقين إلى التأمل في خطوات الحياة الزمنية، ما بين دقَّات طبول وداع يوم، واستقبال يوم آخر، يتأثر بدقائقه، وتمحو ساعاته ذكرياته، ومن ثم يوجه رسالته إلى الشباب المسلم؛ لأنه عصب حياة الأمة، ورمز قوتها، والأمل المرجو المشرق في تقدم البلاد وازدهارها، فلا ينبغي لشباب المسلمين أن ينحرفوا عن الطريق السديد، والمنهج الرباني القويم؛ لأن السنين أمام

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: السادس، ص: ٦٠٦- ٦٠٧.

الإنسان تتعاقب، والدهور أمامه تتهاوى، وما هذه الحياة الدنيوية إلا آمال تتشبث بالفكر والخيال، وحينها ترى النفس البشرية لا ضابط لها ولا لجام؛ ليكبح جماح شهواتها، وتعلقها بالحياة، فتصطدم بعد أنفاس الحياة المعدودة لها بجدار هادم اللذات، وكابح جماح كل النزوات، وقد استطاع الكاتب من خلال مقالته، أن يسجل مشاعره الصادقة نحو المجتمع التونسي بصفة خاصة، والمجتمع الإسلامي بصفة عامة، وأن يُثبت في الوقت ذاته أنه كاتب ذو عاطفة شعبية عميقة، ورسالة اجتماعية هادفة، فلم يكن منعزلاً عن أمته، وإنما عاش معها بكل أحاسيسه وجوارحه، يتألم لآلامها، ويفرح لفرحها وسعادتها، ومن هنا يتبين أن المجلة الزيتونية من خلال مقالاتها الاجتماعية، قد شاركت شعبها في الحديث عن أحوالهم المعيشية، ومشكلاتهم الاجتماعية، وطرق حلِّها وعلاجها.

الفصل الثاني

من الملامح الفنية لفن المقالة في المجلة الزيتونية

مما لا شك فيه أن الاتجاه البحثي في الجانب الفني، لا يعتد بالاستخدام المادي للكلمات التعبيرية، وإنما يتمثل في الاستخدام الانفعالي للكلمة؛ لأن الكلمة التي يستخدمها الكاتب في مقاله، قد تتجاوز في الاستعمال الانفعالي حيز التعبير عن الحاجة المادية المباشرة، فتصبح حينئذ سبيلاً للتعبير عن المكنونات النفسية الدفينة في أعماق القلوب، ومن ثم فإن الكلمة في طريقة استخدامها الانفعالي، تتحول إلى رصيد متحرك فعَّال قابلٍ للتداول في كل زمان ومكان، ولذ جاء تقسيم الجانب الفني للفن المقالي في المجلة الزيتونية مشتملاً على عدة مباحث، كـ(البناء الفني، والأسلوب، والإيقاع النثري، والمعاني والأفكار، والوحدة الفنية)، وهذه المباحث تندرج تحت محورين:

الأول منهما: يخص الشكل الفني لمقالات المجلة الزيتونية، ويتضمن (البناء الفني، والأسلوب، والإيقاع النثري).

وأما المحور الثاني: فهو خاص بدراسة الفن المقالي من حيث مضمونه، ويشتمل على: (المعاني والأفكار، والوحدة الفنية).

المبحث الأول

البناء الفني في مقالات مجلة الزيتونة

حينما يتأمل الناقد في أجزاء المقال الأدبي، يجد أن كل جزء من هذا الهيكل المقالي، يعتمد على عناصر أساسية تعطي بناء قوياً للفن الذي تعبر عنه، وهذا البناء الفني للفن المقالي تتوزع مفردات اللغة فيه على أجزائه؛ حتى تُوَلِّد نوعاً من التأثير المتبادل " بين الكاتب ومجتمعه، من حيث استخدام اللغة والإنتاج الأدبي "(١)، ولا يكاد يتنازع أحد من النقاد على أن البناء الفني لأي مقالة أدبية، يتناول ثلاثة أجزاء أساسية كسائر الفنون الأدبية النثرية، وهي: (المقدمة، والموضوع، والخاتمة)؛ لأن هذه الوحدات تعد المكونات الرئيسية للقوالب الفنية، وهي " الطريقة التي يصوغ الكتاب فيها مقالاتهم غالباً، وهي طريقة تبين أن للمقالة بدءاً ووسطاً وختاماً، أو مقدمة وموضوعاً وخاتمة "(٢)، وسيأتي بيان ذلك فيما يلي:

أولاً: المقدمة:

تتمثل المقدمة في بداية أول شيء يصدر من صاحب النص المقالي، فهي " تتألف من معارف مُسَلَّم بها لدى القراء، قصيرة، متصلة بالموضوع، مُعِينة على فهمه بما تعد النفس له، وما تثيره فيها من معارف تتصل به "(٣).

---

(١) أدب المقالة في مصر، الجزء: التاسع، د/ محمد حسين هيكل في جريدة السياسة اليومية، تأليف: د/ عبداللطيف حمزة، د/ عبدالعزيز شرف، ص: ٢٨٩، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.

(٢) فن المقال، د/ حبيب السيد أبوجمعة، ص: ٣٠، ط: الأولى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٣) في الأدب العربي المعاصر، د/ إبراهيم عوضين، ص: ١١٢، ط: الأولى، مطبعة السعادة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

ومن أمثلة مقدمات المقالات في مجلة الزيتونة: هذه المقدمة الرائعة القصيرة التي جاءت بعنوان (الحياة التونسية) لصاحبها التي رمزت له المجلة بهذه الأحرف (أ، س، ح)، بما تحتويه من الإشارة إلى موضوعها، وتوضيح سبب اختيار عنوانها، يقول صاحب المقالة: " اخترنا هذا العنوان؛ لغموضه، وكثرة معانيه، وشتى مظاهره، اخترناه؛ لأنا نعتقد أنه لا يمكن لأحد أن يكون له إلمام بجميع مظاهر حياة أمة من الأمم، مهما اتسعت معلوماته، لذلك اخترناه أيضاً؛ حتى يشارك في هذا الموضوع أهل المعرفة والكفاءة والحَزْم، ولِنَكْسُوا جميع بلادنا حُلَّتَها الكاملة، فتخرج كالعروس في أروع مظاهرها لأبنائها، وتكون نزهة للناظرين "[1].

فهذه المقدمة تعد مدخلاً طبيعياً موائماً للموضوع الذي تتحدث عنه المقالة؛ لأن ارتباطها وثيق بموضوع المقالة، كما أنها متعاونة مع العنوان في الإيماء بالفكرة التي ترتكز عليها المقالة، فجاءت موجزة، مركزة، محددة لفكرة المقالة، مثيرة للقارئ بأسلوبها المشرق، وطرافتها الجاذبة، أراد الكاتب من خلالها إذكاء الروح التونسية بالحب لبلاده العريقة، وتسجيل الحوادث الهامة في تاريخ بلاده، والولاء لها في حدود التغني بأمجاد الماضي العريق، والعشق لظواهر الطبيعة في أرضها؛ وبذلك يُحدِث الكاتب حالة من التشويق لدى المتلقي على تقبل فكرة مقالته، وحينئذ يحدث الاقتناع الكامل بمضامين مقالته، من خلال عرضه لقضاياها، ومناقشته لآرائها.

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: السادس، ص: ٣٥٤.

ثانياً: عرض الموضوع:

يمثل العرض لموضوع المقال، وما يشتمل عليه من أفكار، الهدف الأول عند الكاتب؛ لأنه ينقل للقارئ ما يشعر به تجاه موضوعه حتى يقنعه برأيه، ولذلك فإن " الكاتب بعد أن يفرغ من تحديد فكرته، يأخذ في بسطها، وتعميقها، والاستدلال علي صحة ما يدعو إليه، وسبيله في ذلك أن يقسِّم فكرة المقال الرئيسية إلي أفكار جزئية مُرَتبة، ثم يقوم بمعالجتها في تسلسل منطقي، تسبق فيه المقدمات النتائج، وتمهد النتائج فيه للفكرة التالية، وتتآذر جميعا في تحقيق الاقتناع بالفكرة العامة التي يدور حولها المقال...، وقد نبه النقاد إلي ضرورة أن يتسم العرض بالدقة والوضوح، وأن يشتمل علي وسائل الإقناع، من حجة قوية، وبراهين مؤيدة، وشواهد دالة معبرة... "(١).

ومن أمثلة عرض الموضوع في مقالات المجلة الزيتونية: هذه المقالة الدينية التي تم عرضها بصورة منطقية بعنوان (من دلائل المعاد) للكاتب الأستاذ/ محمد الناصر الصدام، والتي يسوق الكاتب من خلالها بعض الخواطر، والتأملات الفلسفية في عالم البعث للإنسان بعد الموت، فيقول في بعض أجزائها: " قد سنح لي من النظر والاعتبار بحال النبات والزرع، وما في الفلك، وفي سائر الأكوان من آيات للمتوسمين، الاستدلال به على وقوع المعاد الجسماني؛ من حيث أننا نُرزَق من الحبوب، والثمار، والمقاثي، والزهور في مختلف فصولها، ثم بعد استثمارها، والإتيان على أعيانها، نُلْقِي بِنَوَاتِها وبذورها في بطون الأرض، فإذا هي عائدة في إبانها على أبهج وأحسن ما كانت، فتبارك الله أحسن الخالقين، وسبحان الخالق المبدع الذي يُرِينا من باهر آياته في الآفاق، وفي الأنْفُس الدلائل الناطقة بوحدانيته سبحانه...، ثم بعد أن أومض هذا البارق، فأضاء ما خفِي من شدة الظهور من الحقائق، انْعَطَفْتُ أتطلع في آي الكتاب الحكيم، الذي ما فَرَّطَ الله تعالى فيه من شيء، والذي

(١) فن المقال في الأدب المصري الحديث (دراسة فنية تاريخية)، د/ أحمد محمد على حنطور، ص: ٤٥.

صرف فيه للناس من كل مثل، هل انتهج هذا المنهج الباهر في الاستدلال على وقوع المعاد، في ضمن أفانينه الغريبة في الاستدلال على ذلك، فإذا هو في قوله سبحانه: "والله أنبتكم من الأرض نباتاً، ثم يعيدكم ويخرجكم إخراجاً "(١)، وكفى بهذا برهاناً على صحة ما ارْتَأَيْتُ، وبما قرَّرْت، فالإنبات في الآية على الحقيقة دون المجاز، خلافاً لما في تفسير (البيضاوي) بِرَدِّ الله ثراه، وإليك نصُّه: قال رحمه الله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) أنشأكم منها، فاستعير الإنبات للإنشاء؛ لأنه أدل على الحدوث والتكوين من الأرض، وأصلُهُ أنبتكم من الأرض إنباتاً، فنَبَتُّمْ نباتاً، فاختصر اكتفاءً بالدلالة الالتزامية، (ثم يعيدكم فيها) مقبورين، (ويُخرجكم إخراجاً) بالحَشْر، وأكَّدَه بالمصدر كما أكَّد به الأول؛ دلالة على أن الإعادة مُحَقَّقة كالإبداء، أو أنها تكون لا محالة "(٢).

وهكذا يستمر كاتب المقالة في عرضه لموضوع مقالته، بهذه الكيفية التي تكشف عن تأمله وتدبره فيما يحدث للإنسان في حياة البعث بعد الموت، وعن التنسيق العلمي لمضامينه وأفكاره، وعن كيفية ترتيب هذه الأفكار، وبذلك يظهر للمتلقي الهدوء الفكري في عرضه للرأي والرأي الآخر، والرَّد على هذه الآراء بالأسلوب الجيد المناسب، والبراهين الساطعة، وقد أرجع استناده فيما رآه من تأملات في حياة الإنسان بعد موته إلى كتاب الله عز وجل، حتى ألهمه الله بهذه الخاطرة التي خطرت على ذهنه، معتمداً في ذلك على مقارنته واستدراكه على ما قاله أحد المفسرين، مما اضطره إلى عرض رأي المفَسِّر؛ لكي يؤكد على اقتناعه برؤيته التي ركن إليها.

(١) سورة نوح، الآية: ١٧- ١٨.

(٢) المجلة الزيتونية، المجلد: التاسع، ص: ٢٣٦- ٢٣٧.

ثالثاً: الخاتمة:

هي الخلاصة التي توصل إليها صاحب المقال، وهي الثمرة المرجوة التي يستخلصها الكاتب من مقاله، ويُبْرِزها لقرائه، " وعندها يكون السكوت، فلابد من أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض، واضحة صريحة، ملخصة للعناصر الرئيسية التي يريد إثباتها، حازمة تدل على إقناع ويقين، لا تحتاج إلى شيء آخر لم يرِد في المقالة "(١)، أو كما يقول بعض النقاد هي: " النتيجة التي يريد أن يصل إليها الكاتب في مقاله، والثمرة المبتغاة من وراء كتابته...، ويشترط فيها أن تكون تلخيصاً أميناً لعناصر الفكرة، وتركيزاً وافياً للحقائق التي تضمنها المقال، وملتقية مع الروح العامة التي عاش فيها المتلقي خلاله، وأن تقف بالقارئ –كما ذكر الأستاذ (الشايب)– عند ما يحسن الوقوف عنده، ولا يحتاج معه إلي شيء آخر، وأن تحمل لنا في النهاية موقف الكاتب من موضوعه، وهدفه من مقاله، علي نحو من الأنحاء، وأن تكون قاطعة أشبه بفصل الخطاب في الموضوع؛ حتي تثبت في ذهن القارئ، فإنها آخر ما تقع عليه عين المتلقي... "(٢).

ومن خلال الاستقراء الفاحص لمعظم خواتيم مقالات المجلة الزيتونية، تبين للباحث ارتباطها بموضوعها، وانتقاء كلماتها وجُملها، وتركيزها على المضامين المهمة لموضوعها، إلا أن بعض الخواتيم القليلة في المجلة قد خالفت المعتاد في معظم المقالات الزيتونية، كتلخيص الموضوع، وعرض النتائج الخاصة به، كهذه المقالة التي بعنوان (العاطفة في الأدب العربي) لصاحبها الأستاذ/ أحمد بن المختار الوزير، والتي يقول فيها: " إلى هنا ينتهي حديثي عن

(١) في الأدب العربي الحديث، د/ إبراهيم عوضين، ص: ١١٣، ط: الأولى، مطبعة السعادة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(٢) فن المقال في الأدب المصري الحديث (دراسة فنية تاريخية)، د/ أحمد محمد على حنطور، ص: ٤٦-٤٧.

العاطفة في الأدب العربي، ولعلّي في غناء عن التماس المعاذير من حضراتكم أيها السادة؛ إذ ربما أجمَلْتُ حيث يُحمَد البَسْط، واختَصَرْتُ حيث يُحمَد الإطناب، وربما اكتفيت بوحي الإشارة والتلميح؛ اعتماداً على حُسن تصرفاتكم، والتأويل والتفسير، وربما فاتني التعرض لشيء كان يحسن بي التعرض له، وأخيراً ربما قصرتُ عن بلوغ الغاية التي حاولت جهدي بلوغها، فإذا كان شيء من ذلك، فلعلّي أُعْذَرُ بينكم، ثم لعلي أجد من إخلاص خاصة الأدباء الحضور، ما يتفضلون به عليَّ من النُّصْح والإرشاد إلى مواضع النقص، ومواطئ الضعف، وأذنوا لي يا سادة، أن أجعل خاتمة حديثي بينكم هذه الكلمة التي أمْلَتْها عليَّ صراحةُ شعوري بعاطفة طاغية، تعتلج في سحيق من قرارة نفسي، وتهتز ثائرة في باطن من صميم قلبي...، فخليق بمن توفر لدرس العاطفة في الأدب العربي، أن يجعل نهاية حديثه بَعْثَ عاصفة راغية لا قرار لها إلا في رجفات القلوب، مهما كانت لاهية عابثة... "[1].

فقد ضَمَّن كاتب المقالة خاتمته موضوعاً آخر، هو من صميم عمله الأدبي السَّامي، الذي يرجو من وراء سعيه رفعة شأن الأمة الإسلامية وازدهارها، وهذا لا يتوفر إلا نُدرة في أدب تكون عاطفته جياشة، قوية، مؤثرة، مفعمة بكل المعاني الصادقة الجليلة؛ لكي توقظ النائم، وتنبه الغافل، وتهدي الحائر؛ ومن ثم جاء استغلال الكاتب لخاتمته، فأدرج فيها ما يحتاج إلى ما ترتكن عليه العواطف المتأرجحة للقراء والمتلقين؛ لكي يستغل حالة الهيجان الثائرة للعواطف المستجيبة لكلامه في مقالته، فيحقق أهدافه.

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الثاني، ص: ٢٢٩، ٢٣٠.

المبحث الثاني
الأسلوب في مقالات مجلة الزيتونة

يتكون الأسلوب الأدبي من ألفاظ وتراكيب لغوية مختلفة، يبعث الأديب من خلالها بأخيلته وأفكاره، وعلى قدر الاهتمام بالأسلوب اللغوي في المقالة الأدبية، يأتي الرُّقِي والازدهار لهذه الأساليب؛ لأن أي موضوع مقالي أو غيره يختلف باختلاف أسلوب كاتبه، مما يُنْبِئ عن أن اللغة قد " تتعرض للازدهار والتفوق، إذا ما أقبلت عليها ظروف المعايشة الحياتية بوجه طلق، مشرق الأسارير، فعاشت في كنف حياة سياسية لها السيادة، وحياة علمية لها صدارة الابتكار والخلق، وحياة عقلية لها جدة التفكير، وخصوبة الأمل، وقد تتعرض لألوان من الضعف والجمود، فتتوقف عن تلبية حاجات العصر؛ وذلك حين تقف بها الظروف، فتصبح تابعة لا متبوعة، مستعمرة غير حُرَّة، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرا، ولا تَرُد عن نفسها عادية الزمان "(١).

فلكل أديب أو كاتب أسلوبه الذي يميزه عن غيره، ويتلاءم مع شخصيته، وينبعث من رؤيته الخاصة للحياة الدنيوية؛ وذلك لأن أسلوب الكاتب يتمثل في الصورة الشخصية له، ولا يتأتى هذا الأسلوب الجيد إلا " إذا كان اللفظ حيّاً، تحيط به هالة من المعاني، يستمدها من الاستعمال في الحياة "(٢)، وحينئذ تتحد الصلة بين الأسلوب وقائله؛ لأنه انعكاس واضح لنفسية قائله، وكلما كان الأسلوب معبراً عن خلجات صاحبه، كان له

(١) اللغة العربية ضرورة قومية، د/ فتحي أحمد عامر، ص: ١٣- ١٤، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد: ٤١، سلسلة دراسات إسلامية صادرة في منتصف ذي الحجة ١٤١٩هـ- أبريل ١٩٩٩م، وزارة الأوقاف المصرية.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، دراسة بعنوان (الأسلوب القصصي عند محمد فريد أبو حديد)، د/ عبدالحميد محمد الطنطاوي، ص: ٢١٠، العدد: التاسع، الصادر في ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

أعمق الأثر في نفس المتلقي أو القارئ، وقد ظهر جلياً الاهتمام البالغ من المجلة الزيتونية، باختيار ما يُنشَر على صفحاتها من مقالات، موضوعاتها متنوعة، وألفاظها فصيحة، وتراكيبها مُعَدَّة إعداداً جيداً؛ لإثراء الفكر التونسي والعربي وتنميته.

ومن النماذج المقالية التي تبرهن على ذلك: هذه الفقرة الأدبية من مقالة (تأثير الأدب في رُقِيّ الأمم) لصاحبها الأمير/ شكيب أرسلان، والتي يقول فيها: " وما كانت للعرب فعْلَةٌ مَجِيدةٌ إلا أَخَذَتْ من الأدب عَهْداً، ومن الشعر مَوْثِقاً، ولا دارَتْ معركةٌ ظَهَروا فيها على أعدائهم إلا خَلَّدَتْها أشعارُهُم، وسارَتْ بها أزجالُهُم، وكانت حافزاً لهم على مواقف مثلها، انظر إلى قصائد أبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وغيرهم في مغازي الخلفاء، ومقاماتهم في الذَّبّ عن هذه الأمة، تجد فيها من العزة القومية ما يُحَرِّك الجماد، ويُزلزل الأطواد، وذلك مثل قصيدة أبي تمام في فتح عمورية، التي أولها:

السيف أصدق إنباء من الكتب في حَدِّه الحَدّ بين الجد واللعب(١) "(٢)

فقد جاء الأسلوب جذاباً في هذا العرض المقالي؛ حيث أشرقت في جنبات المقالة ومضات إنسانية نبيلة، فاعتمد كاتب المقالة (شكيب أرسلان) على عدة أساليب بلاغية، انتقاها للتعبير عن مضامين مقالته، التي احتوت على ألفاظ رصينة، تهز العواطف، وتلهب المشاعر، وتحرك السَّواكن، ومنها: أسلوب (القصر عن طريق النفي والاستثناء)، كما تبين من قوله (وما كانت للعرب فعْلَةٌ مَجِيدةٌ إلا أَخَذَتْ من الأدب عَهْداً)، وكذلك قوله: (ولا دارَتْ معركةٌ ظَهَروا فيها على أعدائهم إلا خَلَّدَتْها أشعارُهُم)، ومنها أيضاً: أسلوب

(١) القصيدة في ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، ص: ٤٠، المجلد: الأول (سلسلة ذخائر العرب رقم "٥")، ط: دار المعارف ١٩٦٤م.

(٢) المجلة الزيتونية، المجلد: الثالث، ص: ٣٨٣- ٣٨٤.

(السجع) الذي يُحرك الأفئدة، وتستمتع به الآذان، من مثل قوله: (أعدائهم..، أشعارهم..، أزجالهم..).

وهكذا رأينا قدرة الكاتب على التنويع في أسلوبه، من استخدامه لأساليب مختلفة، بما يتلاءم وطبيعة الموضوع الذي يتناوله صاحبه، مما ينبئ عن أن الأسلوب الجيد هو " ما استطاع أن يعبر عما يريد إخراجه من خلجات الأديب تعبيراً، يكون له أعمق الأثر في نفس السامع، أو القارئ "(١)، فكلما كان الأسلوب صادقاً قوياً قادراً على النفاذ إلى المعاني بسهولة، كان أقرب إلى البلاغة الجميلة، والفصاحة الرصينة، مما يعني أن الكاتب قد جمع أهم الخصائص المقالية، والسمات الأسلوبية في مقالته، وقد وجد الباحث من خلال دراسته لشعره، فجاء المقال متضمناً لرقة الألفاظ وسهولتها من جهة، وقوتها ورصانتها من جهة أخرى، وكذلك خلوها من الألفاظ السوقية المتبذلة، وبُعدها عن الألفاظ الحوشية؛ ولذلك فإن هذه السمات قد جاءت نتيجة طبيعية لمواهبه الفنية، ودراسته الأدبية.

(١) فنون الأدب، تأليف: هـ، ب تشارلتن، تعريب: د/ زكي نجيب محمود، ص: ٤٨، العدد: الثاني، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

المبحث الثالث

الإيقاع النثري للفن المقالي في مجلة الزيتونة

مما لا شك فيه أن الإيقاع يمثل عنصراً رئيسياً في معظم الفنون؛ لأنه يُحدث تناغماً روحياً بين النص والمتلقي، هذا التناغم الخَفِيّ الروحي ينبع من اختيار الأديب لكلماته، وما يحدث بين هذه الكلمات من امتزاج، وانسجام في الحركات، والحروف، وكلما كانت درجة التناغم الروحي عالية لدى الكاتب أو الأديب، كلما كان الإبداع قوياً في موضوعه الذي يعالجه، وكما أن للشعر موسيقاه المعتمدة على الوزن والقافية، فكذلك للجانب النثري موسيقاه النابعة من حسن اختيار الكلمات، وتجانسها لدى صاحب الذوق السليم، فهي –أي الموسيقى النثرية– ليست حركة لفظية، وإنما هي صورة لحركة نفسية، تظهر عند صاحبها من خلال ترجمة صوتية، وهذه الترجمة الصوتية تعتمد على التوازن بين الجمل والكلمات عند كاتب النص المقالي، ولذا فهي " تلازم التعبير العاطفي، وكلما اقترب النثر من هذه الروح العاطفية، قوِيَ حظه من الموسيقى "[١].

وقد جاء الإيقاع الموسيقي للفن المقالي كامناً في صوت الحروف، وتناغم الكلمات، وجَرْس الحروف المضعفة، وأثرها في معناها، وأهمية المد وعلاقته بحالة الكاتب النفسية، فهو أقرب ما يكون إلى الموسيقى الداخلية، مما يعني أنه يمثل " فناً في إحداث إحساس مستحب، بالإفادة من جرس الألفاظ، وتناغم العبارات، واستعمال الأسجاع وسواها من الوسائل الموسيقية الصائتة "[٢].

---

(١) النقد والبلاغة، د/ مهدي علام، د/ عبدالقادر القط، د/ مصطفى ناصف، الجزء: الثاني، ص: ١٦، ط: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان.

(٢) فن المقال، د/ حبيب السيد أبوجمعة، ص: ٤٨– ٤٩، ط: الأولى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.

ومن النماذج المقالية التي تضمنت العديد من موسيقى الإيقاع المقالي في المجلة الزيتونية: هذه المقالة الاجتماعية، التي نشرت في أول عدد صدر للمجلة بعنوان (لمحة خاطفة من حياة الشباب في العصر الحاضر) لصاحبها (محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن العنابي) المعروف بـ(العنابي) أو (ابن العنابي)، وفيها يقول كاتبها: " لما وضعت الحرب الكبرى أوزارها، ورجعت الجنود إلى مساقط رؤوسها، بعد ذلك الامتزاج البالغ، والارتباط الوثيق بين أفراد مختلف الأمم التي خاضت غمارها، وانغمست في حماتها المسنونة، دخلت بعد ذلك الحياة العامة في مضمار تنذر دلائله بالتعقد والفوضى من جراء التفاعل الذي حصل من مزيج أخلاق متباينة، وآراء متطرفة، وقد ظهر أثر ذلك بارزاً في حياة الشباب، وعلى الخصوص الناحية الأخلاقية منه...، وضروري أن لا يتأثر الكهول والشيوخ كتأثر الشباب؛ إذ لأولئك من الأناة والتجارب، ما يمنعهم من الانغمار في بهرج تلك الحياة، ويربأ بهم عن أن يَدرعوا هجيرها، ويخوضوا دجاها، قلنا إن انقلاب حياة الشباب كان أثره بارزاً؛ لينذر بوخامة العقبى، وسوء المصير؛ ذلك أن الشباب قد استبدل من أخلاقه الذي هو أدنى بالذي هو خير، فَآثَرَ الآثرةَ على الغيرية، واستَمْرَأ النفاقَ على الصراحة، فتراه يلاقيك بابتسامته المصطنعة، وهو متحمل على الخبث، وقد طوى كشحه على الحقد عليك، والكيد لك، يهزأ بالنصيحة، ويستطيب المخادعة، وهو إلى ذلك قد أوزع بالمظاهر الخارجية الكاذبة دون أن يأبه بزكاء النفس، وسمو العاطفة، ونبالة الإحساس، وطهارة الوجدان، فَرَاجَ عنده الأدب الدَّاعِر، وغاض فيه الحياء، وفاض على يده الفسوق، فنَدّت عنه الفضيلة، وشاعت بينه الرذيلة...، وبعد ذلك فإنا لنرجو لمجلتنا هذه –وهي في أول الطريق– أن تكون خير أداة لتقويم الشباب، والسير به نحو المثل الأعلى للإنسانية الفاضلة؛ حتى تؤدي بذلك ما تفرضه عليها رسالة الفضيلة والتهذيب "[1].

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الأول، ص: ٤٥– ٤٦.

من خلال القراءة المتأنية للمقالة السابقة، تبين أن الكاتب قد أصابه القلق والاضطراب؛ بسبب الأوضاع السيئة لشباب أمته، واختلاط الشعوب، وتأثرها بتقاليد لا تتفق أبداً مع هويتها، ذلك التأثر الذي بدا واضحاً جليَّاً عند الشباب، وقد كان الكاتب موفقاً في إبراز عاطفته، وتجميلها، وحُسن توصيلها إلى المتلقي؛ بسبب عرضه لموسيقاه العذبة النابعة من أسلوبه الجيد، والتي استخدم لها في مقاله بعض الضوابط التي ساعدته على انتشار هذا المقال، ومنها:

– **استعماله لظاهرة التفصيل بعد الإجمال**: كقوله (استبدل من أخلاقه الذي هو أدنى بالذي هو خير، فآثر الآثرة، استمرأ النفاق، يهزأ بالنصيحة، يستطيب المخادعة.. إلخ).

– **توظيفه لظاهرة التكرار**: وليس المقصود بذلك تكرار اللفظ نفسه، بل قد يكون التكرار بمعناه، أو بالمشتق منه، كقوله (شيوخ، كهول) و(زكاء، نبالة، طهارة) و(خامة العقبى، سوء المصير... إلخ).

– **استخدامه لظاهرة السجع**: كقوله (الفضيلة، الرذيلة، الكاملة، الخادعة، الكاذبة، أوزارها، رؤوسها، غمارها... إلخ).

– **غزارة التعليلات، وبيان سببها**: كقوله (دخلت بعد ذلك الحياة العامة في مضمار تنذر دلائله بالتعقد والفوضى من جراء التفاعل الذي حصل من مزيج أخلاق متباينة)، وقوله في انقلاب حياة الشباب: (ذلك أن الشباب قد استبدل من أخلاقه الذي هو أدنى بالذي هو خير، فَآثَرَ الآثرةَ على الغيرية، واستَمْرَأ النفاقَ على الصراحة، فتراه يلاقيك بابتسامته المصطنعة، وهو متحمل على الخبث، وقد طوى كشحه على الحقد عليك، والكيد لك، يهزأ بالنصيحة، ويستطيب المخادعة...).

– **المجانسة بين الكلمات**: كقوله (آثر الآثرة، ابتسامة مصطنعة، الفضيلة والتهذيب، امتزاج بالغ وارتباط وثيق، تفاعل ومزيج...).

– **إبرازه لظاهرة التضاد**: كقوله (الآثرة، والغيرية)، وقوله (أدنى، وخير)، وقوله (يهزأ، ويستطيب)، وقوله (النصيحة، والمخادعة)، وقوله (أدنى، وخير)، وقوله (غاض الحياء، وفاض الفسوق...).

وبهذا يتبين أن اجتماع هذه العناصر للإيقاع الموسيقي داخل النص المقالي، قد جاءت جامعة لكل من الدعائم الفنية، والمقومات الرئيسية الجيدة، مما يجعله سامياً في موضوعه، مهيئاً لتقبله في نفس المتلقي.

المبحث الرابع
المعاني والأفكار في مقالات مجلة الزيتونة

مما لا شك فيه أن الكاتب الموهوب هو الذي يكون بارعاً في صوغ معانيه بدقة، فيختار منها بذكائه وموهبته الجديد المبتكر؛ لأنه لا يمكن أبداً صوغ أي جملة بدون معنى، كما أنه لا يمكن في الوقت ذاته وجود معنى بدون فكرة، ومن هنا يتبين أن الفكرة هي التي تُحَوِّل العاطفة إلى صورتها اللفظية، التي يتعرف القارئ من خلال سياقها ومعناها على أفكار الكاتب، فلهما –أي المعاني والأفكار– أهمية كبيرة لا تقل عن الألفاظ والأساليب؛ لارتباطهما الوثيق ببعضهما، كما أشار إلى ذلك (ابن رشيق القيرواني) حين قال: " اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يَضعف بضعفه، ويَقوَى بقوته "(١)، ولذا وجب في كل من المعاني والأفكار الوضوح؛ حتى يكون الكلام سائغاً مفهوماً لدى القارئ أو المتلقي.

والمقالة في مجلة الزيتونة جديرة بأن توصف بجمال المعنى، ووضوح فكرته، ومخاطبتها لجمهور عريض من القراء والمتلقين على ثقافاتهم وعقولهم؛ لبُعدها عن الكلام الحوشي، والألفاظ الغريبة، فلا يكاد يوجد في المجلة مقالات نثرية غير واضحة المعاني والأفكار، أو قريبة مبتذلة، أو عامية ركيكة، وإنما جاءت مقالاتها في موضعها من الفصاحة البلاغية، والدقة في اختيار التعبير المناسب دون تقَعُّر أو ابتذال.

ومن النماذج المقالية ذات الفكرة الواضحة، والمعنى الرائق: هذه المقالة الرائعة التي عنونها صاحبها بـ(الأمة العربية في سبيل النهوض) للكاتب الشيخ/ محمد الشاذلي بن القاضي، والتي أراد من خلالها أن يبرز للأمة الإسلامية ضرورة الوحدة بين أبناء أمته؛ من

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: د/ مفيد محمد قميحة، ج: الأول، ص: ٩١، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

أجل رُقِيّها، ونهضتها، وارتفاع شأنها، فيقول: " بيد أن هناك عوامل تزيد الأمة متانة، والرابطة قوة واستحكاماً، وهذا ما نحث عليه قادة الشعوب العربية في العصر الحاضر، عصر نهضتنا الحديثة، أخذ أهل الرأي في كل واحد من هذه الشعوب المتآخية، يعمل العمل الصالح المثمر لتنظيم هذه المصالح؛ حتى تنتج النتائج الحسنة في كافة الشعوب على صورة واحدة، ولما كانت النواحي الثقافية والاقتصادية، التي عليها يقوم المجتمع، ومنها يُستمد نمو الجسم والروح، كان من الواجب رعايتها في إصلاح الأمر، وإزكاء النهضة، وإحكام الصلة، فأخذت في في تنظيم العلاقات التجارية، وتوحيد مناهج الثقافة، وتغذية النفوس بأدب واحد، وهي عوامل من شأنها أن تربط حلقات الحاضر بالماضي، وتعين على رُقِيّ هذه الأمة رُقِيّاً متناسقاً شاملا، ومما يُعِين على على نجاح هذا التعاون الذي بدأ بين بعض هذه الشعوب، قوة الشعور الذي ساد كافة أبناء الأقطار العربية؛ حتى أضحى حقيقة ملموسة، ومظهراً من مظاهر الحياة، تفيض به نفوسهم، وتنطق به ألسنتهم، تَخُطُّه أقلامهم، وتُذِيعه شبكات الأخبار على العالم، فَسَعَتْ هذه الشعوب في إحكام الصلة التجارية، وتنميتها، وتنظيمها بمعاهدات، وتبادلت منتجاتها على أساس تلك المعاهدات، وطلبت من أخواتها مَدّها بعدد من رجال العلم؛ ليقوموا بتثقيف ناشئتها على غرار ما هو قائم في معاهد الأخت الشقيقة، ثم شارك علماء تلك الشعوب في المجامع العلمية، التي أسسها أبناؤها، وجلسوا حول مناضدها، يُرفرف على جميعهم جلال الأُخُوَّة، ويفيض من نفوسهم شعور النهضة التي يعملون في سبيلها..... "[1].

لقد وَجَّه الكاتب خطابه في مقاله، الراقي في معانيه، الواضح في أفكاره، إلى القراء والمتلقين على تنوع ثقافاتهم ومشاربهم، بعبارات تنفعل معها العواطف التونسية، الصادقة

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الخامس، ص: ١٨٥- ١٨٦.

في وطنيتها، والمشتعلة في حماسها الديني والعربي؛ خوفاً على الأمة التونسية –بصفة خاصة– والعربية –بصفة عامة– من الوقوع في براثن التخلف والرجعية والانحطاط.

والمتأمل الفاحص لهذه المقالة، يرى أن الكاتب قد صَدَّرَ مقاله بفكرته الأولى، والتي بعث من خلالها بالعوامل، التي تُعِين على نُمُو وازدهار هذه الرابطة الدينية والعربية بين أبناء أمته؛ من خلال تماسكها، وقوة وحدتها، واجتماع كلمتها، ثم اتبع ذلك بفكرته الثانية التي عرض من خلالها أهم عاملين لابد من التعاون فيهما، وهما (الاقتصاد، والثقافة)؛ لأن قوام المجتمع عليهما، ومنهما يستمد هذا المجتمع بناء كيانه الجسدي والروحي، مؤكداً في ذلك على ضرورة إزكاء هذين العاملين؛ لأنهما السبيل في رُقِيّ الأمة ونهضتها، ومن ثم نجده في عرض الفكرة التالية لما سبق في مقاله، يقدم ما يساعد على تقويم ونجاح هذا التعاون البنَّاء والمثمر، عن طريق الإحساس القوي المرهف نحو العروبة، والشعور بالروح الوطنية؛ حتى يتحقق ذلك على أرض الواقع بين أبناء الشعوب العربية، ولذلك نجده من خلال الفكرة السابقة، يُمَهِّد لفكرته الرابعة في مقاله، فيذكر الآثار المترتبة على هذا التعاون المثمر بين أبناء الأمة العربية، والمتمثلة في تلك المعاهدات الرسمية، التي تبادلوا من خلالها الثقافة والتجارة، واجتمعوا على موائد الحوار بسببها على كلمة سواء؛ مما كان سبباً في إضفاء المجامع العلمية عليهم بقوامها الديني، ورونقها العلمي، وبريقها الاجتماعي، ومن ثم رفرفت عليهم جميعاً روح الأخوة الوطنية والعربية.

ومن هنا يتضح من خلال هذا النموذج السابق للمقالة في المجلة الزيتونية، أنها واضحة، عميقة، بعيدة عن السطحية، مبتعدة عن تكرار معانيها وأفكارها إلا نادراً، كتناولها لفكرة الدعوة إلي القومية العربية الإسلامية، في إطار إصلاح المجتمع والنهوض به، عن طريق التوفيق بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة؛ لذا جاء أسلوبها مسترسلاً وافياً بغرضها، معبراً عن جليل معانيها، سهلاً ميسوراً للمتلقي في استدعاء أفكارها.

المبحث الخامس

الوحدة الفنية في مقالات مجلة الزيتونة

لا شك أن الترابط بين أجزاء العمل الفني، يمثل عنصراً رئيساً من عناصر الوحدة الفنية؛ إذ إن المقصود من هذا الترابط هو الأثر الذي يحدثه الأديب أو الكاتب في المتلقي، بحيث يكون العمل الفني وحدة نابضة متكاملة، ولابد لهذا الترابط الفني من الترتيب المنطقي لأفكار الكاتب، فلا غنى لأحدهما عن الآخر؛ لأنهما –أي الترابط والترتيب– يجعلان أجزاء المقالة تندرج تحت طيّ موضوعٍ واحدٍ، مُقَسَّمٍ إلى أفكار واضحة المعالم، وهذه الأفكار تأتي في البداية مرتبة ترتيباً منطقياً، من جهة تقديم ما حقه التقديم، وتأخير ما حقه التأخير، ثم يأتي دور الترابط بين هذه الأفكار والأجزاء للعمل الفني؛ ولذلك فإنه من الواجب على كاتب المقال الأدبي " مراعاة ترتيب الفقرات والجمل داخل الأسلوب ترتيباً منطقياً، وربط الفقرات ببعضها ربطاً صحيحاً محكما؛ ليتحقق الترابط العضوي بينهما، وذلك باستخدام حروف الربط في مواضعها الصحيحة، وتصاعد الأفكار وترابطها، وتقديم المقدمات في ثنايا المقال، فلا يشعر القارئ بنشاذ في الأداء، أو حشو لا لزوم له، وأن تكون النتائج متمشية مع المقدمات التي عرض لها الكاتب في مقالته، ومرتبطة بها ارتباطاً وثيقا؛ بحيث تكون متوقعة خلال المقال "[١].

فكما أنه لابد من وجود الترابط العضوي، والترتيب المنطقي للأفكار؛ لكي تتحقق الوحدة الفنية في القصيدة الشعرية، فكذلك لابد من توافرهما في الكتابات النثرية؛ لكي يشعر القارئ والمتلقي بتآلف الأفكار، ومن أهمها: الكتابات المقالية –بصفة عامة–، ومقالات المجلة الزيتونية –بصفة خاصة–؛ لأنها تحتاج إلى شيء من التدبر في ترتيب الأفكار، والتمحيص في الالتزام بالموضوع من الكاتب، ومن أروع النماذج المقالية في المجلة

(١) فن المقال، د/ حبيب السد أبو جمعة، ص: ٤٦– ٤٧.

الزيتونية: هذه المقالة التي يحرص فيها صاحبها على كيفية الوصول إلى الرأي الصواب، والمعنونة بـ(مقومات الرأي الصحيح) لصاحبها الشيخ/ التهامي الزهار، فيقول: " أشد ما يحرص عليه الإنسان في هاته الحياة، أن يكون ذا رأي صائب، وفِكر ثاقب، ولذا يجتهد ما أمكنه لجمع شتات المعرفة؛ ليكون حكمه على الأشياء صحيحاً، وبُعده عن الخطأ والزلل ثابتاً، ولكن الأخطاء تنفك تتعاور الأفراد والجماعات، فالامتحان صعب، والنتائج المرتقبة عن الإصابة محمودة العاقبة، والأخطاء تختلف آثارها قوة وضعفا، فكم من غلطة أوقعت الفرد في الهوان المستمر، وأودت بحياة أجيال، ودَكَّت معالم، ولذا وجب على المستنيرين أن يكون رأيهم مشهوداً له بالصحة، وبُعْد النظر؛ لتحقيق المصلحة العليا، مصلحة الجميع، ولكن ما هي الوسيلة أو الوسائل التي يمكن بها تقريب الخُطَى؛ حتى يقع تلافي أكثر ما يمكن من الزلل..؟ والجواب أن السبيل إلى ذلك: المعرفة الصحيحة، والتربية الصالحة، فالمعرفة تكون بتوسيع الدائرة بمختلف العلوم التي تعين على جعل الإنسان يفكر تفكيراً واقعياً، يحسب لكل عمل يريد الإقدام عليه حسابه، فينظر في كل عمل قبل الإقدام عليه إلى النتائج المترتبة عنه...، وثاني الأسباب: التربية الصحيحة، وهاهنا المعضلة الكبرى، والمشكل الكبير؛ لأن التربية عندنا اختلفت طرقها، وتشعبت مسالكها، فالتربية القويمة تقوم على إيجاد أناس مستقيمي الأخلاق، تنزع منهم الأنانية، وتُحَبب إليهم إيتاء الخير، وتجعلهم ينظرون في أعمالهم إلى المصلحة العليا، فتُفْنَى المصلحة الذاتية عندهم في المصلحة العامة، التي هي في حقيقة الأمر آيلة إلى مصلحة الأفراد، ولا أعني بالمصلحة الفردية المصلحة المادية فحسب، بل تلك الأماني التي تزين للنفس حُبّ السلطة، والجاه، واحتلال المناصب... "[1].

(١) المجلة الزيتونية، المجلد: الثامن، ص: ٩٠- ٩١.

من خلال القراءة التأملية للمقالة السابقة، تبين أن كاتبها قد ابتدأها بمقدمة توضح عدة أمور مهمة تقوم عليها المقالة، منها: الحرص الشديد من الإنسان على أن يكون صاحب رأي سديد، وتفكير قويم، والتنويه إلى النتائج المترتبة على هذا الرأي سواء أكان في حالة الإصابة أم في حالة الخطأ أو الزلل، ثم اختتم الكاتب مقالته بسؤال استفهامي، يثير كوامن القارئ أو المتلقي؛ لكي يحرك انتباهه ومشاعره لتناول موضوع مقالته باهتمام، عن طريق جوابه عن سؤاله وأفكاره التي عرضها في مقالته، والمتمثلة في:

– جوابه على سؤاله الذي عرضه في مقالته، بأن الطريق إلى الرأي الصائب متمثل في المعرفة الصحيحة، والتربية الصالحة، ثم تفسيره لهذين المطلبين عن طريق اتساع دائرة العلوم في المعرفة الصحيحة، وإعلاء شأن المصلحة العامة على المصلحة الفردية في التربية السليمة.

– الآثار المترتبة من التربية الصحيحة أو غيرها على الفرد والأسرة والمجتمع.

– ختام الكاتب لمقالته بذكر ما يلزم من التحلي بالثبات والصبر على المعرفة الصحيحة، والتربية السليمة.

وبذلك تكون الفكرة الرئيسية للمقالة قد تكونت من خلال الوحدة الموضوعية، التي جاءت المقالة من خلالها مرتبة ترتيباً منطقياً، ومتسلسلة في أفكارها؛ بحيث تكون الفكرة الأولى تمهيداً لما بعدها، وتكون الثانية نتيجة لما قبلها، حتى ينتهي المطاف إلى خاتمة المقالة، وبذلك تكون الوحدة العضوية للمقالة قد توفرت، وأجزاؤها قد ترابطت.

الخاتمة

بعد هذا الانسياح الممتع في خضم هذا البحث المعنون بـ(الفن المقالي على صفحات مجلة الزيتونة عرض ونقد)، ظهرت المكانة العلمية المرموقة للمجلة في ميدان الفنون الأدبية، جعلتها في مصاف الدعائم التي كان لها أثرها البارز في الحركة الأدبية، وأثرتها بنتاجها، وكان من أهم النتائج الناجمة عن مقالات المجلة الزيتونية ما يلي:

– أن الهدف الرئيسي من الجانب المقالي في المجلة الزيتونية، يكمن في إصلاح المجتمع التونسي والعربي، وإرشاده إلى ما فيه رفعته وازدهاره.

– التشابه بين العديد من العناصر المقالية التي تناقشها مجلة الزيتونة في شتى مجالاتها الدينية، والأدبية، وغيرهما عند معظم كتابها.

– استخدمت المجلة الزيتونية في مقالاتها كل ما يخدم أهدافها من لغة أصيلة، وبلاغة أسلوبية، وفصاحة عربية قويمة.

– وضوح الأثر الناجم من الرسالة التي يحملها كتاب المقالات في المجلة من خلال القيمة العظمى لكلمات مقالاتهم؛ مما كان سبباً في نشر القيم، وإعلاء الروح الإيجابية.

– امتلاك كتاب مجلة الزيتونة لأدوات الكتابة الفنية، التي أوحت للقراء والمتلقين بوجود الخيال الخصب المتجدد عند كاتب المقالة.

– جاء اهتمام المجلة بأسلوبها المقالي جذاباً، بعيداً عن الإيجاز المخل، والإطناب الممل، واللغة العامية الرديئة.

– اتجه الفن المقالي للمجلة نحو التجديد المحافظ على أصول اللغة ودعائمها، بعيداً عن الجمود.

– انطلقت المجلة في معالجتها لقضايا مجتمعها انطلاقة تنم عن وعي كُتابها بقيمة الكلمة، وبصيرتهم بدورهم الفعال، ورؤيتهم لدور فنهم المقالي في التزامهم بقضايا مجتمعهم، وحَلّ مشكلاته.

– كان لتمكن الكتاب من أدوات المقالة الفنية أثر كبير في إخراجها على هذا النحو الجيد، من حيث توظيفها لخدمة أهداف المجلة في الإصلاح الاجتماعي، وترسيخ القيم الإسلامية، والأخلاق الإيمانية، فظهرت براعة كتابها في انتقائهم لألفاظهم الفصيحة، وابتعادهم عن الألفاظ الركيكة المبتذلة، فلا توَعُّر فيها ولا غموض، بل كانت قوية الإيحاء، جميلة الأسلوب، قادرة على النفاذ إلى المعاني بيسر وسهولة.

– استمد معظم كتاب المقالة الزيتونية أغلب صورهم من طبيعة المجتمع التونسي والعربي، مما يدل على موهبتهم وبراعتهم في التصوير.

الباحث

المصادر

- القرآن الكريم.
- المجلة الزيتونية، المجلدات من الأول إلى التاسع، ط: دار الغرب الإسلامي.

المراجع

- أدب المقالة في مصر، الجزء: التاسع، د/ محمد حسين هيكل في جريدة السياسة اليومية، تأليف: د/ عبداللطيف حمزة، د/ عبدالعزيز شرف، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.
- تطور الأدب الحديث في مصر، د/ أحمد هيكل، ط: السادسة، دار المعارف.
- عدة الداعية، د/ فرج محمد الوصيف، ط: معاهد إعداد الدعاة، طبعة خاصة بالجمعية الشرعية.
- العمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: د/ مفيد محمد قميحة، ج: الأول، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- فن المقال في الأدب المصري الحديث (دراسة فنية تاريخية)، د/ أحمد محمد على حنطور، ط: الأولى، مطبعة التركي ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- فن المقال، د/ حبيب السيد أبوجمعة، ط: الأولى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- فن المقالة، د/ محمد يوسف نجم، ط: الرابعة، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٦م.

– فنون الأدب، تأليف: هـ، ب تشارلتن، تعريب: د/ زكي نجيب محمود، العدد: الثاني، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

– في الأدب الحديث، د/ عمر الدسوقي، ط: السادسة، دار الفكر العربي ١٩٦٤م.

– في الأدب العربي الحديث، د/ إبراهيم عوضين، ط: الأولى، مطبعة السعادة ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

– في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ط: الثانية، دار المعارف.

– اللغة العربية ضرورة قومية، د/ فتحي أحمد عامر، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد: ٤١، سلسلة دراسات إسلامية صادرة في منتصف ذي الحجة ١٤١٩هـ- أبريل ١٩٩٩م، وزارة الأوقاف المصرية.

– المقالة في ليبيا، نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني (١٨٦٦- ١٩١١)، دراسة تحليلية نقدية، د/ أحد عمران بن سليم، ط: الأولى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ١٩٩٢م.

– من المحيط إلى الخليج، أ/ محمد إبراهيم الصيحي، ط: الأولى، مكتبة نهضة مصر، الفجالة.

– النقد والبلاغة، د/ مهدي علام، د/ عبدالقادر القط، د/ مصطفى ناصف، الجزء: الثاني، ط: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان.

الدواوين والمجلات

– ديوان (سقط الزند)، لأبي العلاء المعري، ط: مطبعة هندية بشارع المهدي، الأزبكية، مصر ١٣١٩هـ-١٩٠١م.

– ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تحقيق: د/ السيد مصطفي غازي، ط: الثانية، مكتبة منشأة المعارف، الإسكندرية.

– ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، المجلد: الأول (سلسلة ذخائر العرب رقم "٥ ")، ط: دار المعارف ١٩٦٤م.

– مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، دراسة بعنوان (الأسلوب القصصي عند محمد فريد أبو حديد)، د/ عبد الحميد محمد الطنطاوي، العدد: التاسع، الصادر في ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... ١٠٩
التمهيد..... ١١٣
المقالة في مجلة الزيتونة..... ١١٣
الفصل الأول الملامح الموضوعية لفن المقالة في مجلة الزيتونة.... ١١٨
المبحث الأول المقالة الدينية..... ١١٩
المبحث الثاني المقالة الأدبية ١٢٦
المبحث الثالث المقالة النقدية..... ١٣٥
المبحث الرابع المقالة التاريخية ١٤٣
المبحث الخامس المقالة الاجتماعية..... ١٤٨
الفصل الثاني من الملامح الفنية لفن المقالة في المجلة الزيتونية ١٥٢
المبحث الأول البناء الفني في مقالات مجلة الزيتونة ١٥٣
المبحث الثاني الأسلوب في مقالات مجلة الزيتونة..... ١٥٩
المبحث الثالث الإيقاع النثري للفن المقالي في مجلة الزيتونة..... ١٦٢
المبحث الرابع المعاني والأفكار في مقالات مجلة الزيتونة ١٦٦
المبحث الخامس الوحدة الفنية في مقالات مجلة الزيتونة ١٦٩
الخاتمة ١٧٢
المصادر المراجع..... ١٧٤
فهرس الموضوعات ١٧٧